بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله [illegible]

[illegible]

[illegible] 10 [illegible] 661 [illegible]

[illegible] 728 [illegible].

[illegible] 698 [illegible]

[illegible] 83 [illegible]

[illegible] 1380 [illegible]

[illegible]

(1) سورة الأعراف: الآية 158.

(1) سورة التوبة: الآية " 33".

[illegible]

(1) سورة الإسراء: الآية 36.

(2) سورة الأعراف: الآية 33.

[illegible]

(1) سورة الأعراف: الآية 180.

(2) سورة الشورى: الآية 11.

(3) سورة الإسراء: الآية 36.

(1) سورة النساء: الآية 164.

(2) سورة الفاتحة: الآية 2.

[illegible]

1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]
4. [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (*) [illegible]

[illegible]

[illegible].

[illegible].

[illegible]: **فأكثر من أن تحصر مثل قوله تعالى:** ([illegible])[1] **وقوله:**) [illegible] ([2] **وقوله تعالى:**) [illegible] **إلى قوله:**) [illegible] ([3]. **ومثل قوله** [illegible]: " [illegible] ".

[illegible].

[illegible]: **أن اعتقاده أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقـاد باطـل كـذب على السلف، فإن السلف أعلم الأمـة بنصـوص الصـفات لفظاً ومعنى، وأبلغهم في إثبـات معانيهـا اللائقـة باللـه تعالى: على حسب مراد الله ورسوله.**

[illegible]: **أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين فقد تلقـوا علـومهم من ينبـوع الرسـالة الإلهيـة وحقـائق الإيمـان. أمـا أولئـك الخلـف فقـد تلقـوا مـا عنـدهم من المجوس، والمشركين وضلال اليهود، واليونان[*]. فكيـف يكـون ورثـة المجـوس، والمشـركين، واليهـود، واليونان، وأفـراخهم، أعلم، وأحكم في أسـماء اللـه وصـفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟!**

[illegible]: **أن هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السـلف كـانوا حيـارى مضـطربين بسـبب إعراضـهم عمـا بعث اللـه بـه محمداً** [illegible]

(*) راجع ص (95) في الفصل الثاني من الباب العشرين .

(1) سورة الحشر: الآيات 22-24.

(2) سورة الروم: الآية 27.

(3) سورة البقرة: الآية 255.

[illegible]

(*) راجع ص (91) في الباب التاسع عشر .

(1) سورة طه: الآية 5.

(2) [illegible] 10 .

(3) سورة الشورى: الآية 11.

(4) سورة طه: الآية 110.

[illegible]
[illegible]

[illegible]: " [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]". [illegible].
[illegible]
[illegible]
[illegible]: " [illegible]
[illegible]
[illegible]". [illegible].
[illegible]
[illegible]: [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]. [illegible]. [illegible].

[1] سورة البقرة: الآية 255.

[2] سورة الأعلى: الآية 1.

[3] سورة النحل: الآية 50.

[4] سورة طه: الآية 5.

[5] سورة الملك: الآية 16.

[6] سورة فاطر: الآية 10.

[7] سورة المعارج: الآية 4.

[8] سورة النساء: الآية 158.

[1] سورة الواقعة: الآية 80.

[2] سورة النحل: الآية 102.

[illegible]

[illegible]: أن الله إله في السماء، وإله في الأرض، فألوهيته ثابتة فيهما، وإن كان هـو في السـماء، ونظير ذلك قول القائل: فلان أمير في مكـة، وأمـير في المدينة. أي: إن إمارته ثابتـة في البلـدين، وإن كـان هـو في أحدهما وهذا تعبير صحيح لغة وعرفاً والله أعلم.

---

(1) سورة الأنعام: الآية 3.

(2) سورة الزخرف: الآية 84.

(3) سورة الأنعام: الآية 3.

[illegible]

[illegible]

فإن أريد بها جهة سُفل، فإنها منتفية عن الله، وممتنعة عليه لأن الله تعالى: قد وجب له العلو المطلق بذاته، وصفاته.

وإن أريد بها جهة علو تحيط به، فهي منتفية عن الله، وممتنعة عليه أيضاً فإن الله أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، كيف وقد وسع كرسيه السموات والأرض؟

(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى: عما يشركون) [1].

وإن أريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير أحاطة به، فهي حق ثابت لله تعالى: واجبة له. قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه " الغنية ": " وهو سبحانه بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك". أ هـ.

ومعنى قوله: " محتو على الملك " أنه محيط بالملك تبارك وتعالى:.

فإن قيل : إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطاً به ، فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه [illegible]

[illegible]

[illegible] **(في السماء)** [illegible]

الأول: [illegible] **(وينزل**

---

[1] سورة الزمر: الآية 67.

عليكم من السماء ماء ([2] . [illegible]

الثاني: [illegible] " **في** " [illegible] " **على** " [illegible] "[illegible]" [illegible] " **على**"[illegible]

[illegible]:) **فسيحوا في الأرض**([1] . [illegible].

الباب العاشر
في استواء الله على عرشه

الاستواء في اللغة: [illegible]:

1. [illegible]:) **ولما بلغ أشده واستوى** ([1]. [illegible].
2. [illegible]" [illegible] " [illegible]:) **ثم استوى إلى السماء** ([2][illegible].
3. [illegible] " **على** " [illegible]:) **لتستووا على ظهوره** ([3][illegible].

[illegible]: [illegible]:) **الرحمن على العرش استوى**([4].

ومن أدلة السنة: [illegible]: " **لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه** "[5].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: "إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي" [illegible].

[illegible]: [illegible] : [illegible].

---

(2) سورة الأنفال: الآية 11.

(1) سورة التوبة: الآية 2.

(1) سورة القصص: الآية 14.

(2) سورة البقرة: الآية 29.

(3) سورة الزخرف: الآية 13.

(4) سورة طه: الآية 5.

(5) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص 34.

[illegible] (**الرحمن على العرش استوى**)[6] [illegible] ! [illegible] (**العرق**) [illegible]: " **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً** " [illegible].

[illegible].

فقوله: " الاستواء غير مجهول" [illegible].

وقوله: " والكيف غير معقول" [illegible].

[illegible]: " **الإيمان به واجب**" [illegible].

وقوله: " والسؤال عنه بدعة" [illegible].

[illegible].

قال بعض أهل العلم: إذا قال لك الجهمي: [illegible].

وقال آخر: إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله : كيف هي؟

فقل له: كيف هو بذاته؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته

فقل له: [illegible].

فإن قال قائل: [illegible].

[illegible].

وأما قوله: " إن الجسم ممتنع على الله" فجوابه: [illegible].

---

(6) سورة طه : الآية 5.

[illegible]

[illegible]

وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع ليتوصلوا بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال على نوعين:

الأول: [illegible]

الثاني: [illegible]

فإن قال قائل: [illegible]

فالجواب: [illegible]

فإن قيل: [illegible]

فالجواب: [illegible]

1- [illegible]

2- [illegible]

3- [illegible]

4- [illegible]

الأول: [illegible]

الثاني: [illegible]

الثالث: [illegible] **احتمال** [illegible]

الرابع: أن يبين الدليل على أن المراد من المعاني المجازية هو ما ادعاه لأنه يجوز أن يكون المراد غيره فلابد من دليل على التعيين والله أعلم.

[illegible]: **سرير الملك قال الله تعالى: عن يوسف: (ورفع أبويه على العرش)**[1] [illegible]:) [illegible] ([2] .

وأما عرش الرحمن الذي استوى عليه: فهو عرش عظيم محيط بالمخلوقات، وهو أعلاها، وأكبرها كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي [illegible]

[illegible]

(1) سورة يوسف: الآية 100.

(2) سورة النمل: الآية 23.

(1) سورة الحديد: الآية 4.

(2) سورة الأنفال: الآية 19.

(3) سورة طه: الآية 46.

[illegible]

(1) سورة الحديد: الآية 4.

(2) سورة المجادلة : الآية 7.

(3) سورة الأنفال: الآية 19.

(4) سورة النحل: الآية 128.

(5) سورة طه: الآية 46.

(6) سورة التوبة: الآية 40.

(1) سورة الحديد: الآية 4.

(1) سورة الرحمن: الآية 27.

[illegible]

[illegible]

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى: يدين، اثنتين، مبسوطتين بالعطاء والنعم. وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به.

وقد دل على ثبوتهما الكتاب، والسنة.

[illegible] [1]. [illegible] [2] [illegible] [3]. [illegible]

---

(1) سورة ص: الآية 75.

(2) سورة ص: الآية 75.

(3) سورة ص: الآية 75.

[illegible]

(1) سورة القمر: الآية 14.

(1) سورة الملك: الآية 1.

(2) سورة طه: الآية 39.

(3) سورة يس: الآية 71.

(4) سورة القمر: الآية 14.

(5) سورة المائدة: الآية 64.

[illegible]

[illegible]

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يتكلم، وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به.

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت، كيف يشاء، متى شاء، فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده.

وقد دل على هذا القول الكتاب، والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ([illegible])[1] وقوله: ([illegible])[2] وقوله: ([illegible])[3].

[illegible]: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأن آحاده حادثة.

[illegible]: دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف.

[illegible]: دليل على أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت.

ومن أدلة السنة قول النبي [illegible]

[illegible]

---

(1) سورة الأعراف: الآية 143.

(2) سورة آل عمران: الآية 55.

(3) سورة مريم: الآية 52.

1. [illegible]: وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا: " [illegible]" فراراً من إثبات حوادث لا أول لها.

2. [illegible]: " إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة، والعلم فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته، وهو أربعة معان: [illegible]".

3. [illegible]: وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

[illegible]: في معاني الكلام فالكلابية يقولون : إنه أربعة معانٍ.

[illegible]: إنه معنى واحد فالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي كل واحد منها هو عين الآخر وليست أنواعاً للكلام، بل صفات له، بل التوراة والإنجيل، والقرآن كل واحد منها عين الآخر لا تختلف إلا بالعبارة.

[illegible]: " [illegible]". [illegible]: " [illegible]".

4. [illegible]: "[illegible]".

5. [illegible]: " [illegible]".

ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله، ومنهم من أقر به وقال: إنه مخلوق.

6. قول فلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو: " إنه فيض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها فيوجب لها تصورات، وتصديقات بحسب ما قبلته منه، وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوى حتى تصور الشيء المعقول صوراً نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان.

7. قول الاتحادية- القائلين بوحدة الوجود - إن كل كلام في الوجود كلام الله كما قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وكل هذه الأقوال مخالفة لما دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، ومن رزقه الله علماً وحكمة فهم ذلك.

[illegible]

[illegible]

مذهب أهل السنة والجماعة أن القـرآن كلام اللـه مـنزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به حقيقـة، وألقـاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد [illegible].

[illegible][1] [illegible][2] [illegible][3] [illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(1) سورة التوبة: الآية 6.

(2) سورة ص: الآية 29.

(3) سورة الشعراء: الآيات 193-195.

[illegible]

الباب التاسع عشر
في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

شاعت مقالة التعطيل بعد القـرون المفضـلة الصـحابة والتابعين وتابعيهم وإن كان أصلها قـد نبـغ في أواخـر عصر التابعين.

وأول من تكلم بالتعطيــل الجعــد بن درهم فقــال: إن الله لم يتخـذ إبـراهيم خليلاً، ولم يكلم موسـى تكليمـاً. فقتله خالد بن عبد الله القسري الـذي كـان واليـاً على العراق لهشام بن عبد الملك، خرج به إلى مصلى العيـد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: أيها الناس ضـحوا تقبـل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم إنـه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمـاً ثم نزل وذبحه وذلك في عيد الأضحى سنة 119 هـ.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في النونية:

[illegible]

ثم أخذها عن الجعد رجـل يقـال لـه:الجهم بن صـفوان وهو الذي ينسـب إليـه مـذهب الجهميـة المعطلـة،لأنـه نشره فقتلـه سـالم بن أحـوز صـاحب شـرطة نصـر بن سيار وذلك في مرو سنة 128 هـ.

وفي حــدود المائــة الثانيــة عُــرِّبت الكتب اليونانيــة والرومانية فازداد الأمر بلاء وشدة.

ثم في حـدود المائـة الثالثـة انتشـرت مقالـة الجهميـة بسبب بشر بن غيـاث المريسـي وطبقتِـه الـذين أجمـع الأئمــة على ذمهم وأكــثرهم كفــروهم أو ضــللوهم. وصـنف عثمـان بن سـعيد الـدارمي كتابـاً رد بـه على المريسي سماه " نقض عثمـان بن سـعيد على الكـافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد" من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلـة،

بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بِشْر.
وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة.
فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته على ما قيل من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي [illegible].

[illegible]

الباب العشرون
في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النفاة على أن يثبتوا لله من الصفات ما اقتضت عقولهم إثباته وأن ينفوا عنه ما اقتضت عقولهم نفيه، سواء وافق الكتاب والسنة، أم خالفهما فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندهم هو العقل.
ثم اختلفوا فيما لا يقتضي العقل إثباته، أو نفيه، فأكثرهم نفوه وخرجوا ما جاء منه على المجاز، وبعضهم توقف فيه وفوض علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات.

وهم يزعمون أنهم وفقوا بهذه الطريقة بين الأدلة العقلية والنقلية، ولكنهم كذبوا في ذلك لأن الأدلة العقلية والنقلية متفقة على إثبات صفات الكمال لله، وكل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله فإنه لا يخالف العقل، وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك.

وقد شابه هؤلاء النفاة في طريقتهم طريقة من قال الله فيهم: ([illegible])[1].

ووجه مشابهتهم لهم من وجوه:

[illegible]**: أن كل واحد من الفريقين يزعم أنه مؤمن بما أنزل على النبي** [illegible]

[illegible]

[1] سورة النساء: الآيات 60-61.

[1] أي ما يدعيه من نفي الصفات.

[2] سورة مريم: الآية 65.

[2] سورة الإخلاص: الآية 4.

[1] ومنها ما تقدم من قوله تعالى:) هل تعلم له سميًّا ( ) ولم يكن له كفواً أحد (.

[2] انظر الكلام في الجهة ص 68 البـاب التاسع والكلام في الجسم ص 71 البـاب العاشر وأما الحيز فيفصل فيه فإن أريد أن الله تحوزه المخلوقات فهو ممتنع وإن أريد أنه منحاز عن المخلوقات مباين لها فصحيح.

(1) سورة الشورى: الآية 11.

(2) سورة الإخلاص: الآية 4.

1 ([1]?) راجع ص 59 من الباب الرابع

(1) انظر الرد عليهم ص 95 في الباب العشرين.

، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوتها، وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها، فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتاً في الكتب الإلهية من إثبات المعاد، وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله.

121

(1) سورة آل عمران: الآية 7.

[1] سورة أل عمران: الآية 7.

[2] سورة آل عمران: الآية 7.

[illegible]

(1) سورة الأعراف: الآية 53.

(2) سورة النساء: الآية 59.

(3) سورة النحل: الآية 98.

(1) سورة السجدة: الآية 17.

(1) سورة الشورى: الآية 11.

(1) سورة آل عمران: الآية 186.

[illegible]

(1) سورة المائدة: الآية 3.

(2) سورة آل عمران: الآية 19.

(3) سورة آل عمران: الآية 85.

(4) سورة يوسف: الآية 17.

(5) سورة الحجرات: الآية 14.

(1) سورة الأنفال: الآيات2-4.

(2) سورة الفتح: الآية 4.

.1

.2

.3

.4

.1 .1

.2 .2

.3 .3

.4 .4

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،

---

(1) سورة الفتح: الآية 27.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسـله الله تعـالى: بالهـدى، ودين الحـق، فبلغ الرسـالة وأدى الأمانـة، ونصح الأمـة، وجاهد في الله حق جهـاده، وتـرك أمته على محجة بيضـاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالــك، فصــلوات الله وســلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأئمة الهـدى من بعـدهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بيّن للنـاس ما نـــزل إليهم من ربهم بيانـــاً كـــاملاً شـــاملاً في دقيق أمـورهم، وجليلهـا، وظاهرهـا، وخفيها حـتى علمهم ما يحتـــاجون إليه في مـــآكلهم، ومشـــاربهم، ومنـــاكحهم، وملابسـهم، ومسـاكنهم فعلمهم آداب الأكـل، والشـرب، والتخلي منهما، وآداب النكاح، واللباس ودخـول المـنزل، والخـروج منـه، كما علمهم ما يحتـاجون إليه في عبـادة الله عز وجل كالطهـــارة والصـــلاة، والزكـــاة، والصـــوم، والحج وغير ذلك.

وما يحتـاجون إليه في معاملة الخلق من بر الوالـدين، وصلة الأرحام وحسن الصحبة والجوار وغير ذلك.

وعلمهم كيف يتعــاملون بينهم في الــبيع، والشــراء، والــرهن، والارتهــان والتــأجير، والاســتئجار، والهبــة، والاتهاب وغير ذلك. حـتى قـال أبو ذر رضي الله عنـه: " لقد توفي رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وما طـائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً ".

وفي صحيح مسلم عن سلمان رضي الله عنه أنه قيل له:قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: "أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول.."، وذكر تمام الحـديث، هـذا فضـلاً عن أسس هـذه العبـادات، والأخلاق والمعاملات، وهو ما يعتقده العباد في إلههم ومعبــودهم في ذاته، وأسمائه، وصــفاته وأفعالــه، وما ينشأ عن ذلك من أحكامه الكونية والشرعية المبنية على بـالغ الحكمـة، وغاية الرحمة فأخذ عنه ذلك الصحابة معينـاً صـافياً نقيـاً

مبنياً على التوحيد الكامل المتضمن لركنين أساسيين: نفي، وإثبات.

فأما الإثبات فهو: إثبات ما يجب لله تعالى: من الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات، والأفعال.

وأما النفي فهو: نفي مشاركة غير الله تعالى: لله فيما يجب له.

ومضى عليه التابعون لهم بإحسان ممن أدركوا زمن الصحابة أو جاؤوا بعدهم من أئمة الهدى المستحقين لرضا الله عز وجل حيث يقول الله تعالى:) والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ([1]. ثم خلف خلوف عموا عن الحق أو تعاموا عنه فضلوا، وأضلوا قصوراً أو تقصيراً، أو عدواناً وظلماً، فأحدثوا في دين الله تعالى: ما ليس منه في العقيدة، والعبادة، والسلوك، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، أو كذبوها إن أمكنهم ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: " ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي " إلى أن قال: فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكاً ظهر النقص في الأمراء فلا بُدَّ أن يظهر أيضاً في أهل العلم والدين فحدث في آخر خلافة علي رضي الله عنه بدعتا الخوارج والرافضة إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية.

وكان ملك معاوية ملكاً ورحمة، فلما ذهب وجاءت إمارة يزيد وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق، وفتنة أهل الحرة بالمدينة وحصروا مكة لما قام عبد الله بن الزبير، ثم مات يزيد وتفرقت الأمة: ابن الزبير بالحجاز،

---

(1) سورة التوبة، الآية 100.

وبنو الحكم بالشـام، ووثب المختـاربن أبي عبيد وغـيره بـالعراق وذلك في أواخر عصر الصـحابة وقد بقي فيهم مثل عبد الله بن عبـاس، وعبد الله بن عمـر، وجـابر بن عبد اللـه، وأبي سـعيد الخـدري وغـيرهم حـدثت بدعة القدرية والمرجئـة، فردها بقايا الصـحابة... مع ما كـانوا يردونه هم وغيرهم من بدعة الخوارج والروافض.

وعامة ما كـانت القدرية إذ ذاك يتكلمـون فيه أعمـال العبـــاد، كما يتكلم فيها المرجئة فصـــار كلامهم في الطاعة والمعصـية، والمـؤمن والفاسـق، ونحو ذلك من مسائل الأسماء والأحكـام والوعد والوعيـد، ولم يتكلمـوا بعد في ربهم، ولا في صـفاته إلا في أواخر عصر صـغار التابعين من حين أواخر الدولة الأموية حين شرع القـرن الثالث تابعو التابعين ينقرض أكثرهم.

فإن الاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهم وسـطه. وجمهـور الصـحابة انقرضـوا بـانقراض خلافة الخلفـاء الأربعة حـتى إنه لم يكن بقي من أهل بـدر إلا نفر قليل. وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبـير وعبد الملـك. وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية وصار في ولاة الأمور كثـير من الأعـاجم وخـرج كثـير من الأمـور عن ولاية العـرب وعُـرِّبت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس، والهنـد، والـروم وظهر ما قاله النبي صـلى الله عليه وسـلم: " ثم يفشو الكـذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد ويحلف ولا يستحلف".

حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوّف.

وحدث التجهم وهو نفي الصـفات وبإزائه التمثيل إلى أن قـال :فـإن معرفة أصـول الأشـياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله، وأصل ما تولد فيه من أعظم العلـوم نفعـاً إذ المـرء مـالم يحط علمـاً بحقـائق الأشـياء الـتي يحتـاج إليها يبقى في قلبه حسكة أهـ [1].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: بدعة القـدر أدركت آخر عصر الصحابة فأنكرها من كـان منهم حيـاً كعبد الله

(1) 10/354-368.

بن عمـــــر، وابن عبـــــاس وأمثالهما رضي الله عنهم ثم حــدثت بدعة الإرجــاء بعد انقــراض عصر الصــحابة فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها، ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقــراض عصر التــابعين واســتفحل أمرها واســتطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد وذويه، ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج، وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البــدع وغيرها أقــام الله لها من حزبه وجنـــده من يردها ويحـــذر المســـلمين منها نصيحة لله، ولكتابه، ولرسـوله ولأهل الإسـلام أ هـــ[2].

وقــال ابن حجر رحمه الله في شــرح البخــاري: فمما حــدث تــدوين الحــديث، ثم تفســير القــرآن، ثم تــدوين المسائل الفقهية المولدة من الــرأي المحض، ثم تــدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

فأما الأول فـــأنكره عمر وأبو موسى وطائفة ورخص فيه الأكثرون.

وأما الثاني: فأنكره جماعة من التابعين كالشعبي.

وأما الثالث: فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسـيرة وكـذا اشتد إنكار أحمد للذي بعده.

ومما حــدث أيضــاً تــدوين القــول في أصـول الــديانات فتصدى لها المثبتة والنفاة فبالغ الأول حتى شبه، وبــالغ الثاني حتى عطل واشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة، وأبي يوســـف، والشـــافعي وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور. وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي صــلى الله عليه وسلم وأصحابه وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكــر، وعمر شــيء من الأهواء يعــني بــدع الخــوارج، والــروافض، والقدريــة، وقد توسع من تـــأخر عن القـــرون الثلاثة الفاضـــلة في غالب الأمــور الــتي أنكرها أئمة التــابعين وأتبــاعهم، ولم يقتنعوا بذلك حــتى مزجــوا مســائل الديانة بكلام اليونــان وجعلــوا كلام الفلاســفة أصــلاً يــردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو مســتكرهاً، ثم لم يكتفــوا بــذلك حــتى

---

(2) 7/61 تهذيب سنن أبي داود.

زعمــوا أن الــذي رتبــوه هو أشــرف العلــوم وأولاها بالتحصـيل وأن من لم يسـتعمل ما اصـطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسـعيد من تمسك بما كـان عليه السـلف واجتنب ما أحدثه الخلف وإن لم يكن له منه بد فليكتف منه بقدر الحاجة ويجعل الأول المقصود بالأصالة. أ هـ[1].

ولما كـــــــــان من حكمة الله البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صـواب الحق وظهـوره على الباطل فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه على النـار، قيض الله جل وعلا بقدرته التامة ولطفه الواسع وقهـره الغـالب من يـدحض حجج هـؤلاء المعارضـين ويـبين زيف شبههم وأنها كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقًّا وكل كاسر مكسور

وقال الإمـام أحمد رحمه الله في خطبة كتـاب " الـرد على الجهمية: " الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يـــــدعون من ضل إلى الهـدى، ويصـبرون منهم على الأذى، يحيـون بكتـاب الله المـوتى ويبصـرون بنـور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضـال تائه هـدوه، فما أحسن أثـرهم على النـاس، وما أقبح أثر النـاس عليهم، ينفـون عن كتـــاب الله تحريف الغـــالين، وانتحـــال المبطلين، وتأويل الجـاهلين الـذين عقـدوا ألوية البدعة وأطلقـوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتـاب مجمعـون على مخالفة الكتـاب، يقولـون على الله وفي الله وفي كتـاب الله بغـير علم، يتكلمـون بالمتشـابه من الكلام، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين. أهـ[2].

وكـان من جملة من قيضـهم الله تعـالى: لنصـرة دينه والذب عنه باللسان والبنان والسـنان شـيخ الإسـلام: أبو العبـــاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســلام بن تيمية المولـود في حـران يـوم الاثـنين العاشر من شـهر ربيع

---

[1] ر 13/253 فتح.

[2] ر 7 من اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

الأول سنة إحـدى وسـتين وسـتمائة، المتـوفى محبوسـاً ظلمــاً في قلعة دمشق ليلة الاثــنين الموافق العشــرين من شـهر ذي القعـدة سـنة ثمـان وعشـرين وسـبعمائة وصلي عليه في الجامع الأموي بعد صـلاة الظهر ولم يتم دفنه لكـــثرة الزحـــام إلا قبل العصر بيســـير، رحمه الله تعالى: رحمة واسـعة، وجمعنا به مع من أنعم الله عليهم في جنات النعيم.

ولقد كـان له رحمه الله مصـنفات كثـيرة في مجادلة أهل البـدع ومجالـدة أفكـارهم ما بين مطولة ومتوسـطة وقليلة وحصل بذلك نفع كبير أشـار ابن القيم رحمه الله إلى شيء منها في النونية حيث قال:

وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل والكفران

إلى أن قال:

فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني

أعني أبا العباس أحمد ذلك الـ بـحر المحيط بسائر الخلجان

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود له نظير ثان

وكذاك منهاج له في رده قول الروافض شيعة الشيطان

ثم ذكر عدة من كتبه ورسائله وقال:

هي في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالي من الأثمان

إلى أن قال:

وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان

نصر الإله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان

أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل زمان

إلى أن قال:

ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما منا لهم إلا أسير عانِ

فغدت نواصيهم بأيدينا فما يلقوننا إلا بحبل أمان

وغدت ملوكهم مماليكاً لأنـ ـصار الرسول بمنة الرحمن[1]

وكـان من جملة رسـائل الشـيخ رحمه الله رسـالة: " تحقيق الإثبـات للأسـماء والصـفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع " المعروفة باسم:

التدمرية

والظاهر أن هذه الرسالة ضمن أجوبة أجاب بها الشيخ أهل تـدمر[2] وكـانت هـذه الرسـالة من أحسن وأجمع ما كتبه في موضوعها على اختصـارها ومن أجل ذلك فـإني أسـتعين الله عز وجل في لم شـعثها وجمع شـملها وتقـريب معانيها لقارئها مع زيـادة ما تـدعو الحاجة إليه وحـذف ما يمكن الاسـتغناء عنه على وجه لا يخل بالمقصود[3]. وسميته:

" تقريب التدمرية"

وأسـال الله تعـالى: أن يجعل عملي خالصـاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعاً لعباده إنه جواد كريم.

---

(1) ر 833-839 شرح الهراس ط الإمام.

(2) مدينة قديمة بوسط سورية ر 500 من الموسوعة العربية الميسرة.

(3) ومما حذفت القاعدة السابعة لأنها غير موجودة في بعض النسخ ويغني عنها ما سبقها من القواعد.

بيان سبب تأليف هذه الرسالة

بين المؤلف سبب تأليف هذه الرسالة بقوله:

أما بعد: فقد سألني من تعينت إجـابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سـمعوه مـني في بعض المجـالس من الكلام في التوحيد والصفات، وفي الشرع والقدر.

ثم علل وجوب إجابتهم بأمرين:

أحـدهما: مسـيس الحاجة إلى تحقيق هـذين الأصـلين لأنه لابد أن يخطر على القلب في هــذين الأصــلين ما يحتــاج معه إلى بيــان الهــدى من الضــلال، والحق من الباطل.

الثاني: كثرة اضطراب أقوال الناس فيهمـا، والخـوض فيهما بالحق تارة وبالباطل تارات فيلتبس الحق بالباطل على كثير من الناس، ومن ثم احتيج إلى البيان.

الكلام في التوحيد والصفات
وفي الشرع والقدر

الكلام في التوحيد والصـفات من بـاب الخـبر، الـدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم، المقابل بالتصـديق أو التكــذيب من قبل المخــاطب لأنه خــبر عما يجب لله تعالى: من التوحيد وكمال الصـفات، وعما يسـتحيل عليه من الشرك والنقص ومماثلة المخلوقات.

مثال ذلك قوله تعالى:] الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخــذه ســنة ولا نــوم [[1]. ففي قولــه:]لا إله إلا هو [إثبات التوحيد، وفي قوله :] الحي القيوم [إثبات كمال الصــفات، وفي قوله :] لا تأخــذه ســنة ولا نــوم [نفي النقائص عن الله المتضمن لإثبات الكمالات.

وأما الكلام في الشـرع والقـدر فهو من بـاب الطلب، الــــــدائر بين الأمر والنهي من قبل المتكلم، المقابل بالطاعة أو المعصـية من قبل المخـاطب، لأن المطلـوب

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

إما محبوب لله ورسوله فيكـون مـأموراً بـه، وإما مكـروه لله ورسوله فيكون منهياً عنه.

مثـال ذلك قوله تعـالى:] واعبـدوا الله ولا تشـركوا به شـيئاً [[2]ففي قوله :] اعبـدوا الله [الأمر بعبـادة اللـه، وفي قوله :] ولا تشركوا به شـيئاً [النهي عن الإشـراك به.

والفـرق بين الخـبر والطلب في حقيقتيهما وحكمهما معلـوم، فـالواجب على العبـاد إزاء خـبر الله ورسـوله: التصديق والإيمان به على ما أراد الله ورسوله تصديقاً لا تكـذيب معــه، وإيمانــاً لا كفر معــه، ويقينــاً لا شك معه لقوله تعـالى:] يا أيها الـذين آمَنـوا آمِنـوا بالله ورسـوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتـاب الـذي أنـزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً [[1].

والــواجب على العبــاد إزاء الطلب: امتثاله على الوجه الـــذي أراد الله ورســـوله من غــــير غلو ولا تقصــــير، فيقومون بالمأمور ويجتنبون المحظور لقوله تعالى:] يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تســمعون . ولا تكونــوا كالــذين قــالوا ســمعنا وهم لا يسـمعون . إن شر الـدواب عند الله الصم البكم الـذين لا يعقلـــون . ولو علم الله فيهم خــــيراً لأســــمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون [[2].

فصل

إذا تبين ذلك فهاهنا أصلان:

الأصل الأول في الصــــفات وهو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصـفته به رسـله إثباتـاً بلا تمثيـل، وتنزيهاً بلا تعطيل كما جمع الله تعالى: بينهما في قـوله:] ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [[3].

---

(2) سورة النساء، الآية: 36.

(1) سورة النساء، الآية: 136.

(2) سورة الأنفال، الآيات: 20-23.

(3) سورة الشورى، الآية: 11.

فقوله :] ليس كمثله شــيء [نفي متضــمن لكمــال صفاته مبطل لمنهج أهل التمثيل ، وقوله:]وهو السـميع البصــير [إثبـات لأسـمائه وصـفاته وإبطـال لمنهج أهل التحريف والتعطيـــل، فنثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي ما نفى الله عن نفسه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. وهذا هو المنهج السـليم الـواجب المبــــني على العلم والحكمة والســــداد في القــــول والاعتقـاد وله دليلان أثـري ونظـري، وإن شـئت فقل : سمعي وعقلي:

أما الأثري السمعي فمنه قوله تعـالى:] ولله الأسـماء الحسـنى فـادعوه بها وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه سيجزون ما كانوا يعملون [[4].

وقولــه:] ليس كمثله شــيء وهو الســميع البصــير [[5]وقوله:] فلا تضـربوا لله الأمثـال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمــون [[6]وقولــه:] ولا تَقْــفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً[[7].

وأما النظــري العقلي فلأن القــول في أســماء الله وصــفاته من بــاب الخــبر المحض الــذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصــيله فــوجب الوقــوف فيه على ما جــاء به السمع.

---

(4) سورة الأعراف، الآية: 180.

(5) سورة الشورى، الآية: 11.

(6) سورة النحل، الآية: 74.

(7) سورة الإسراء، الآية: 36.

فصل

والجمع بين النفي والإثبــات في بــاب الصــفات هو حقيقة التوحيد فيه وذلك لأن التوحيد مصـدر وَحَّد يوحـد. ولا يمكن صـدق حقيقته إلا بنفي وإثبـات، لأن الاقتصـار على النفي المحض تعطيل محض. والاقتصــــــار على الإثبات المحض لا يمنع المشاركة.

مثــال ذلــك: لو قلت: ما زيد بشــجاع فقد نفيت عنه صفة الشجاعة وعطلته منها.

ولو قلت: زيد شجاع فقد أثبت له صفة الشـجاعة لكن ذلك لا يمنع أن يكون غيره شجاعاً أيضاً.

ولو قلت: لا شــــــجاع إلا زيد فقد أثبت له صــــــفة الشجاعة، ونفيت أن يشاركه غيره فيها فكنت موحـداً له في صفة الشجاعة.

إذاً لا يمكن توحيد أحد بشــيء إلا بــالجمع بين النفي والإثبات.

واعلم أن الصفات الثبوتية الـتي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال، والغالب فيها التفصيل، لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنـوعت دلالتها ظهر من كمـال الموصـوف بها ما لم يكن معلومـاً من قبـل، ولهـذا كـانت الصـفات الثبوتية التي أخـبر الله بها عن نفسه أكـثر من الصـفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه.

وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صـــفات نقص ولا تليق به كـــالعجز، والتعب، والظلم، ومماثلة المخلوقين، والغالب فيها الإجمـال لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصـوف وأكمل في التنزيه فـإن تفصـيلها لغير سبب يقتضيه فيه سخرية وتنقص في الموصوف.

ألا تــرى أنك لو مــدحت ملكــاً فقلت له: أنت كــريم، شجاع محنك، قـوي الحكم، قـاهر لأعـدائك إلى غـير ذلك من صفات المدح لكان هذا من أعظم الثناء عليـه، وكـان فيه من زيـادة مدحه وإظهـار محاسـنه ما يجعله محبوبـاً محترماً لأنك فصلت في الإثبات.

ولو قلت: أنت ملك لا يسـاميك أحد من ملـوك الـدنيا في عصرك لكان ذلك مدحاً بالغاً لأنك أجملت في النفي.

ولو قلت: أنت ملك غير بخيل، ولا جبان، ولا فقير، ولا بقال، ولا كناس ولا بيطار، ولا حجام، وما أشـبه ذلك من التفصــيل في نفي العيــوب الــتي لا تليق به لعُد ذلك استهزاءً به وتنقصاً لحقه.

وقد يـأتي الإجمـال في أسـماء الله تعـالى: وصـفاته الثبوتية كقوله تعــالى: في الأســماء:] ولله الأســماء الحســنى فــادعوه بها [[1] وقوله في الصــفات:] ولله المثل الأعلى[[2]. أي الوصف الأعلى .

وقد يــأتي التفصــيل في الصــفات المنفية لأســباب منها:

1. **نفي ما ادعــاه في حقه الكــاذبون المفـترون كقوله تعــالى:] ما اتخذ الله من ولد وما كــان معه من إله [[3].**
2. **دفع توهم نقص في كماله كقوله تعـالى:] ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في سـتة أيـام وما مسنا من لغوب [[4].**
3. **بيان عموم كماله في قوله تعالى:] ليس كمثله شيء [ ] ولم يكن له كفواً أحد [.**

أمثلة التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي

الأمثلة على التفصيل في الإثبات كثيرة جداً فمنها:

قوله تعــالى: في ســورة الحشر الآيــة: 22:)هو الله الــذي لا إله إلا هو عــالم الغيب والشــهادة(. إلى آخر السورة فقد تضـمنت هـذه الآيـات أكـثر من خمسة عشر

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 180.

(2) سورة النحل، الآية: 60.

(3) سورة المؤمنون: الآية: 91.

(4) سورة ق، الآية: 38.

اسـماً، وكل اسم منها قد تضـمن صـفة، أو صـفتين، أو أكثر.

وكقوله تعالى: في سورة الحج الآية: 59:) ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم(. إلى قوله:) إن الله بالناس لرؤف رحيم(. فهذه سبع آيـات متوالية ختمت كل آية منها باسمين من أسماء الله عز وجل وكل اسم منها متضمن لصفة، أو صفتين، أو أكثر.

وأما أمثلة الإجمـال في النفي فمنها قوله تعـالى:) ليس كمثله شـيء ([5] **وقوله تعـالى:)هل تعلم له سـمياً(**[6]**. وقوله:) ولم يكن له كفواً أحد (**[7]**.**

فصل

واعلم أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يسـتلزم تماثل المسـميات والموصـوفات، كما دل على ذلك السمع، والعقل، والحس.

أما السـمع:فقد قـال الله عن نفسـه:) إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كـان سـميعاً بصـيراً([1] **وقـال عن الإنسـان:)إنا خلقنا الإنسـان من نطفة أمشـاج نبتليه فجعلنـاه سـميعاً بصـيراً(**[2] **. ونفى أن يكـون السـميع كالسـميع والبصـير كالبصـير فقـال:) ليس كمثله شـيء وهو السـميع البصـير(** [3]**. وأثبت لنفسه علمـاً وللإنسـان علماً فقال عن نفسه:) علم الله أنكم سـتذكرونهن (** [4]**. وقـال عن الإنسـان:) فـإن علمتمـوهن مؤمنـات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلـون لهن**

([5] سورة الشورى،الآية:11.

([6] سورة مريم،الآية:65.

([7] سورة الإخلاص،الآية:4.

([1] سورة النساء، الآية: 58.

([2] سورة الإنسان، الآية: 2.

([3] سورة الشورى، الآية: 11.

([4] سورة البقرة، الآية: 235.

([5]. وليس علم الإنسان كعلم الله تعالى: فقد قـال الله عن علمه:) وسع كل شيء علماً ([6]. وقـال:) إن الله لا يخفى عليه شـيء في الأرض ولا في السـماء([7]. وقـال عن علم الإنسان:) وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً([8].

وأما العقـــل: فمن المعلـــوم بالعقل أن المعـــاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضـاف إليـه، فكما أن الأشـــياء مختلفة في ذواتها فإنها كـــذلك مختلفة في صـفاتها وفي المعـاني المضـافة إليها ، فـإن صـفة كل موصوف تناسبه لا يفهم منها ما يقصر عن موصـوفها أو يتجاوزه، ولهذا نصف الإنسان بـاللين والحديد المنصـهر باللين، ونعلم أن اللين متفاوت المعنى بحسب ما أضيف إليه.

وأما الحس: فإننا نشاهد للفيل جسـماً وقـدماً وقـوة، وللبعوضة جســماً وقـــدماً وقـــوة، ونعلم الفـــرق بين جسميهما، وقدميهما، وقوتيهما.

فـــإذا علم أن الاشـــتراك في الاسم والصـــفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كــون كل منها مخلوقاً ممكناً، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخـالق والمخلوق أولى، وأجلى، بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع.

فصل
في الزائغين عن سبيل الرسل وأتباعهم
في أسماء الله وصفاته

الزائغون عن سبيل الرسل، وأتباعهم في أســماء الله وصفاته قسمان: ممثلة، ومعطلة.

([5] سورة الممتحنة، الآية: 10.

([6] سورة طه، الآية:98.

([7] سورة آل عمران: الآية: 5.

([8] سورة الإسراء، الآية: 85.

وكل منهم غلا في جانب، وقصر في جـانب، فالممثلة غلــوا في جــانب الإثبــات وقصّــروا في جــانب النفي والمعطلة غلـوا في جـانب النفي، وقصـروا في جـانب الإثبات، فخرج كل منهم عن الاعتدال في الجانبين.

فالقسم الأول: الممثلة وطـــريقتهم أنهم أثبتـــوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلـوقين فقـالوا: لله وجه، ويـدان، وعينـان، كوجوهنـا، وأيـدينا وأعيننـا، ونحو ذلك.

وشبهتهم في ذلك أن الله تعالى: خاطبنا في القـرآن بما نفهم ونعقل قـــالوا: ونحن لا نفهم، ولا نعقل إلا ما كان مشاهداً فإذا خاطبنا عن الغـائب بشـيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد.

ومذهبهم باطل مردود بالسمع، والعقل، والحس.

أما السـمع:فقد قـال الله تعـالى:)ليس كمثله شـيء وهو السميع البصير([1]. وقال:)فلا تضـربوا لله الأمثـال ([2]. ففي الآية الأولى نفى أن يكـون له مماثل مع إثبـات السمع والبصر له.

وفي الثانية نهى أن تضـــرب له الأمثـــال فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي.

وأما العقل فدلالته على بطلان التمثيل من وجوه:

الأول: التبـــاين بين الخـــالق والمخلــوق في الـــذات والوجود، وهذا يسـتلزم التبـاين في الصـفات، لأن صـفة كل موصوف تليق به فالمعاني والأوصـاف تتقيد وتتمـيز بحسب ما تضاف إليه.

الثــاني: أن القــول بالمماثلة بين الخــالق والمخلــوق يســـتلزم نقص الخــــالق ســــبحانه، لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

([1] سورة الشورى، الآية: 11.

([2] سورة النحل، الآية: 74.

الثـالث: أن القـول بمماثلة الخـالق للمخلـوق يقتضي بطلان العبودية الحـق، لأنه لا يخضع عاقل لأحد ويـذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلى منه.

وأما الحس: فإننا نشـاهد في المخلوقـات ما تشـترك أســماؤه وصـــفاته في اللفـــظ، وتتبـــاين في الحقيقة فللفيل جسم وقوة وللبعوضة جسم وقوة، والتبـاين بين جسـميهما وقوتيهما معلـوم فـإذا جـاز هـذا التبـاين بين المخلوقات كـان جـوازه بين الخـالق والمخلـوق من بـاب أولى ، بل التباين بين الخالق والمخلـوق واجب والتماثل ممتنع غاية الامتناع.

وأما قـولهم: إن الله تعـالى: خاطبنا بما نعقل ونفهم فصـحيح لقوله تعـالى:) إنا جعلنـاه قرآنـاً عربيـاً لعلكم تعقلون ([1]وقولـه:) كتـاب أنزلنـاه إليك مبـارك ليـدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب([2]. وقوله :) وما أرســلنا من رسول إلا بلسان قومه ليــبين لهم ([3]ولـولا أن الله أراد من عبــاده عقل وفهم ما جـاءت به الرسل لكـان لســان قومه ولسان غيرهم سواء، ولما حصل البيان الذي تقوم به الحجة على الخلق.

وأما قولهم: إذا خاطبنا عن الغائب بشـيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد فجوابه من وجهين:

أحـــدهما: أن ما أخـــبر الله به عن نفسه إنما أخـــبر به مضـافاً إلى نفسه المقدسة فيكـون لائقـاً به لا ممـاثلاً لمخلوقاتـــه، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالى:، ولم يقـدره حق قـدره، ولم يعـرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

الثـــاني: أنه لا يمكن أن تكـــون المماثلة مـــرادة لله تعـــالى: لأن المماثلة تســتلزم نقص الخـــالق جل وعلا، واعتقـاد نقص الخـالق كفر وضـلال، ولا يمكن أن يكـون مراد الله تعالى: بكلامه الكفر والضلال كيف وقد قال:

([1] سورة الزخرف، الآية: 3.

([2] سورة ص، الآية: 29.

([3] سورة إبراهيم، الآية: 4.

) يـــبين الله لكم أن تضـــلوا ([4]. وقـــال:) ولا يرضى لعباده الكفر ([5].

فصل

والقسم الثـــاني[1]: المعطلة وهم الـــذين أنكـــروا ما سمى الله تعالى: ووصف به نفسه إنكاراً كلياً، أو جزئيـاً، وحرفـــوا من أجل ذلك نصـــوص الكتـــاب والســـنة فهم محرفون للنصوص، معطلون للصفات، وقد انقسم هؤلاء إلى أربع طوائف:

الطائفة الأولى: الأشـــــــاعرة ومن ضـــــــاهاهم من الماتريدية وغيرهم وطريقتهم أنهم أثبتـوا لله الأسـماء، وبعض الصفات، ونفوا حقـائق أكثرهـا، وردوا ما يمكنهم رده من النصوص، وحرفوا مالا يمكنهم رده، وسـموا ذلك التحريف " تأويلاً ".

فأثبتوا لله من الصفات سبع صـفات: الحيـاة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات.

وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أنهم اعتقدوا فيما نفوه أن إثباته يستلزم التشبيه أي التمثيل. وقـالوا فيما أثبتـوه : إن العقل قد دل عليه فـإن إيجـاد المخلوقـات يـدل على القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكامها يـــدل على العلم، وهـــذه الصـــفات " القـــدرة، والإرادة، والعلم" تدل على الحياة لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي إما أن يتصف بـــالكلام والســـمع والبصر وهـــذه صفات كمـال، أو بضـدها وهو الخـرس والصـمم والعمى وهذه صفات نقص ممتنعة على الله تعالى: فوجب ثبوت الكلام، والسمع والبصر.

والرد عليهم من وجوه:

---

(4) سورة النساء، الآية: 176.

(5) سورة الزمر، الآية: 7.

(1) أي من الزائغين عن سبيل الرسل وأتباعهم.

الأول: أن الرجـوع إلى العقل في هـذا البـاب مخـالف لما كان عليه سلف الأمة من الصـحابة، والتـابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك وإنما يرجعون إلى الكتـاب والسـنة، فيثبتـون لله تعـالى: من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسـه، أو أثبته له رسـله إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

قال إمام أهل السـنة أحمد بن حنبل : " نصف الله بما وصف به نفسه ولا نتعدى القرآن والحديث".

الثاني: أن الرجوع إلى العقل في هـذا البـاب مخـالف للعقل لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال وإنما تتلقى من السـمع فـإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب، ويجوز، ويمتنع في حق الله تعالى: فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفاً للعقل.

الثـــالث: أن الرجـــوع في ذلك إلى العقل مســـتلزم للاختلاف والتنـــاقض فـــإن لكل واحد منهم عقلاً يـــرى وجـــوب الرجـــوع إليه كما هو الواقع في هـــؤلاء فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتنــاقض الواحد منهم فيثبت في مكـان ما ينفيـه، أو ينفي نظـيره في مكـان آخر، فليس لهم قانون مستقيم يرجعون إليه.

قـال المؤلف رحمه الله في الفتـوى الحمويـة: " فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتـاب والسـنة، فرضي الله عن الإمـام مالك بن أنس حيث قـال: أو كلما جاءنا رجل أجـدل من رجل تركنا ما جـاء به جبريل إلى محمد صـلى الله عليه وســلم لجــدل هــؤلاء "[1]. ومن المعلــوم أن تناقض الأقوال دليل على فسادها.

الرابـــع: أنهم إذا صـــرفوا النصـــوص عن ظاهرها إلى معـــنى زعمـــوا أن العقل يوجبه فإنه يلـــزمهم في هـــذا المعـنى نظـير ما يلـزمهم في المعـنى الـذي نفـوه مع ارتكابهم تحريف الكتاب والسنة.

---

(1) ر 5 / 29 م ف ق.

مثال ذلك: إذا قالوا : المراد بيدي الله عز وجل: القوة دون حقيقة اليد لأن إثبات حقيقة اليد يسـتلزم التشـبيه بالمخلوق الذي له يد.

فنقول لهم: يلزمكم في إثبات القوة نظير ما يلزمكم في إثبات اليد الحقيقية، لأن للمخلوق قوة فإثبات القوة لله تعالى: يستلزم التشبيه على قاعدتكم.

ومثال آخر: إذا قالوا : المراد بمحبة الله تعـالى: إرادة ثواب المحبوب أو الثواب نفسه دون حقيقة المحبـة، لأن إثبات حقيقة المحبة يستلزم التشبيه.

فنقـول لهم: إذا فسـرتم المحبة بـالإرادة لـزمكم في إثبـات الإرادة نظـير ما يلـزمكم في إثبـات المحبـة، لأن للمخلـــوق إرادة فإثبـــات الإرادة لله تعـــالى: يســـتلزم التشبيه على قاعدتكم، وإذا فسرتموها بالثواب، فالثواب مخلوق مفعول لا يقوم إلا بخالق فاعل، والفاعل لابد له من إرادة الفعل وإثبــات الإرادة مســتلزم للتشــبيه على قاعدتكم.

ثم نقـــول: إثبـــاتكم إرادة الثـــواب، أو الثـــواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب عليه، ولولا محبة العمل ما أثيب فاعله فصـــار تـــأويلكم مســـتلزماً لما نفيتم فـــإن أثبتمـــــوه على الوجه المماثل للمخلـــــوق ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه على الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم ولزمكم إثبات جميع الصفات على هذا الوجه.

الخـامس: أن قـولهم فيما نفـوه: " إن إثباته يسـتلزم التشبيه" ممنوع لأن الاشتراك في الأسماء والصـفات، لا يســتلزم تماثل المســميات والموصــوفات كما تقـــرر سابقاً، ثم إنه منقوض بما أثبتوه من صفات الله، فـإنهم يثبتـون لله تعـالى: الحيـاة، والعلم، والقـدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، مع أن المخلـوق متصف بـذلك فإثباتهم هذه الصـفات لله تعـالى: مع اتصـاف المخلـوق بها مستلزم للتشبيه على قاعدتهم.

فـإن قـالوا: إننا نثبت هـذه الصـفات لله تعـالى: على وجه يختص به ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منها.

قلنا: هذا جواب حسن سديد فلماذا لا تقولون به فيما نفيتمـــوه فتثبتونه لله على وجه يختص به ولا يشـــبه ما ثبت للمخلوق منه ؟ !

فإن قالوا: ما أثبتنـاه فقد دل العقل على ثبوته فلـزم إثباته.

قلنا: عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لا يصح الاعتماد على العقل في هذا البــاب كما سبق.

الثاني: أنه يمكن إثبات ما نفيتموه بدليل عقلي يكـون في بعض المواضع أوضح من أدلتكم فيما أثبتموه.

مثال ذلك: الرحمة التي أثبتها الله تعـالى: لنفسه في قوله:] وربك الغفور ذو الرحمة[[1] وقولـه:]وهو الغفـور الـــــــرحيم[[2]. فإنه يمكن إثباتها بالعقل كما دل عليها السمع.

فيقال: الإحسـان إلى الخلق بما ينفعهم ويـدفع عنهم الضـرر يـدل على الرحمة كدلالة التخصـيص على الإرادة بل هو أبين وأوضح لظهوره لكل أحد.

الثالث: أن نقول: على فرض أن العقل لا يدل على ما نفيتمـوه فـإن عـدم دلالته عليه لا يسـتلزم انتفـاءه في نفس الأمر، لأن انتفاء الـدليل المعين لا يسـتلزم انتفـاء المدلول، إذ قد يثبت بـدليل آخـر. فـإذا قـدرنا أن الـدليل العقلي لا يثبته فـإن الـدليل السـمعي قد أثبتـه، وحينئذ يجب إثباته بالدليل القائم السالم عن المعارض المقاوم.

فإن قالوا: بل العقل يــدل على انتفــاء ذلك لأن إثباته يستلزم التشبيه والعقل يدل على انتفاء التشبيه.

قلنـا: إن كـان إثباته يسـتلزم التشـبيه فـإن إثبـات ما أثبتموه يسـتلزم التشـبيه أيضـاً، فـإن منعتم ذلك لـزمكم منعه فيما نفيتمـــوه إذ لا فـــرق، وحينئذ إما أن تقولـــوا بالإثبـات في الجميع فتوافقـوا السـلف، وإما أن تقولـوا

---

(1) سورة الكهف، الآية: 58.

(2) سورة يونس، الآية: 107.

بـالنفي في الجميع فتوافقـوا المعتزلة ومن ضـاهاهم، وأما التفريق فتناقض ظاهر.

فصل

الطائفة الثانيـة: المعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم.

وطـريقتهم أنهم يثبتـون لله تعـالى: الأسـماء دون الصفات، ويجعلون الأسـماء أعلامـاً محضـة، ثم منهم من يقـول : إنها مترادفة فـالعليم، والقـدير، والسـميع، والبصـير شـيء واحـد، ومنهم من يقـول: إنها متباينة ولكنه عليم بلا علم ، قـدير بلا قـدرة، سـميع بلا سـمع، بصير بلا بصر ونحو ذلك.

وشـبهتهم أنهم اعتقـدوا أن إثبـات الصـفات يسـتلزم التشـبيه لأنه لا يوجد شـيء متصف بالصـفات إلا جسـم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعـالى: سـمى نفسه بأسـماء ووصف نفسه بصفات فإن كان إثبات الصـفات يسـتلزم التشـبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كـذلك، والتفريق بين هـذا وهـذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنيـة، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض.

الثـاني: أن الله تعـالى: وصف أسـماءه بأنها حسـنى ، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[1]. وهـذا يقتضي أن تكـون دالة على معـانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا ولا يصح خلوها عنها.

ولو كـانت أعلامـاً محضة لكـانت غـير دالة على معـنى سـوى تعـيين المسـمى، فضـلاً عن أن تكـون حسـنى ووسيلة في الدعاء.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 180.

الثـالث:أن الله تعـالى: أثبت لنفسه الصـفات إجمـالاً وتفصـــيلاًمع نفي المماثلة فقـــال تعـــالى:)ولله المثل الأعلى([2]. وقـــال:)ليس كمثله شـــيء وهو الســـميع البصير([3]. وهذا يدل على أن إثبات الصـفات لا يسـتلزم التمثيل ولو كـــان يســـتلزم التمثيل لكـــان كلام الله متناقضاً.

الرابـع: أن من لا يتصف بصـفات الكمـال لا يصـلح أن يكـون ربـاً ولا إلهـاً، ولهـذا عـاب إبـراهيم عليه الصـلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهـاً فقـال:) يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ([4].

الخـامس: أن كل موجـود لابد له من صـفة، ولا يمكن وجـود ذات مجـردة عن الصـفات، وحينئذ لابد أن يكـون الخالق الواجب الوجود متصفاً بالصفات اللائقة به.

السـادس: أن القـول" بـأن أسـماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على ذات الله فقـط" قـول باطل لأن دلالات الكتـاب والسـنة متضـافرة على أن كل اسم منها دال على معنـــاه المختص به مع اتفاقها على مســـمى واحد وموصـــوف واحد فالله تعـالى: هو الحي القيـــوم، السميع، البصير، العليم، القدير، فالمسـمى والموصـوف واحـد، والأسـماء والصـفات متعـددة. ألا تـرى أن الله تعـالى: يسـمي نفسه باسـمين أو أكـثر في موضع واحد كقولـــه:) هو الله الـــذي لا إله إلا هو الملك القـــدوس السلام المـؤمن المهيمن العزيز الجبـار المتكـبر([1]. فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفاً محضاً لكان ذكرها مجتمعة لغواً من القول لعدم الفائدة.

السـابع: أن القـول " بـأن الله تعـالى: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع ونحو ذلـك" قـول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغـير العـربي فـإن من

([2] سورة النحل، الآية: 60.

([3] سورة الشورى، الآية: 11.

([4] سورة مريم، الآية: 42.

([1] سورة الحشر، الآية: 23.

المعلـوم في جميع لغـات العـالم أن المشـتق دال على المعنى المشتق منـه، وأنه لا يمكن أن يقـال : عليم لمن لا علم لـه، ولا قـدير لمن لا قـدرة لـه، ولا سـميع لمن لا سمع له ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسـماء الله تعـالى: دالة على ما تقتضـيه من الصـفات اللائقة به فيتعين إثبـات الأسماء والصفات لخالق الأرض والسموات.

الثامن: أن قـولهم: " لا يوجد شـيء متصف بالصـفات إلا جسـم" ممنـوع فإننا نجد من الأشـياء ما يصح أن يوصف وليس بجسـم، فإنه يقـال: ليل طويـل، ونهـار قصير، وبرد شـديد، وحر خفيف ونحو ذلـك، وليست هـذه أجسـاماً. على أن إضـافة لفظ الجسم إلى الله تعـالى: إثباتـاً أو نفيـاً من الطـرق البدعية الـتي يتوصل بها أهل التعطيل إلى نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

التاسع: أن قولهم: " الأجسـام متماثلة " باطل ظـاهر البطلان فإن تفاوت الأجسام ظاهر لا يمكن إنكاره. قـال الشـيخ " المؤلـف": ولا ريب أن قـولهم بتماثل الأجسـام قول باطل[2].

فصل

الطائفة الثالثة: غلاة الجهمية، والقرامطـة، والباطنية ومن تبعهم.

وطـريقتهم أنهم ينكـرون الأسـماء والصـفات ولا يصـفون الله تعـالى: إلا بـالنفي المجـرد عن الإثبـات ويقولـون : إن الله هو الموجـود المطلق بشـرط الإطلاق[1]. فلا يقال : هو موجـود، ولا حي، ولا عليم، ولا قـدير وإنما هـذه أسـماء لمخلوقاته أو مجـاز، لأن إثبـات ذلك يسـتلزم تشـبيهه بـالموجود الحي، العليم، القـدير ويقولون : إن الصفة عين الموصوف، وإن كل صفة عين

---

(2) ر 3/ 72 م ف ق.

(1) معنى قولهم : بشـرط الإطلاق أنه مطلق عن أي صـفة ثبوتية لأن الصـفة تقيد الموصوف.

الصـفة الأخـرى فلا فـرق بين العلم، والقـدرة والسـمع، والبصر ونحو ذلك.

وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبـات الأسـماء والصـفات يستلزم التشـبيه والتعـدد ووجه ذلك في الأسـماء أنه إذا سمي بها لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم فإذا أثبتنا " الحي " مثلاً لـزم أن يكـون متصـفاً بالحيـاة لأن صـدق المشتق يستلزم صـدق المشـتق منه وذلك يقتضي قيـام الصفات به وهو تشبيه.

وأما في الصفات فقـالوا : إن إثبـات صـفات متغـايرة مغـايرة للموصـوف يسـتلزم التعـدد وهو تـركيب ممتنع مناقض للتوحيد.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعـــالى: جمع فيما ســـمى ووصف به نفسه بين النفي والإثبــات " وقد ســبق أمثلة من ذلك " فمن أقر بـالنفي وأنكر الإثبـات فقد آمن ببعض الكتـاب دون بعض، والكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كلـه. قـال الله تعالى: منكراً على بني إسرائيل:) أفتؤمنــون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خـزي في الحيـاة الـدنيا ويـوم القيامة يـردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ([2].

وقـــال تعـــالى:) إن الـــذين يكفـــرون بالله ورســـله ويريـدون أن يفرقـوا بين الله ورسـله ويقولـون نـؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سـبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينـاً ([3].

الثاني: أن الموجـود المطلق بشـرط الإطلاق لا وجـود له في الخـارج المحسـوس وإنما هو أمر يفرضه الـذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القـول به نفي وجـود الله تعـالى: إلا في الـذهن، وهـذا غاية التعطيل والكفر.

([2] سورة البقرة، الآية: 85.

([3] سورة النساء، الآيتان: 150-151.

الثالث: قـولهم: " إن الصـفة عين الموصـوف وإن كل صــفة عين الصــفة الأخــرى" مكــابرة في المعقــولات، سفســطة في البــدهيات، فــإن من المعلــوم بضــرورة العقل، والحس أن الصفة غير الموصوف، وأن كل صــفة غير الصـفة الأخـرى فـالعلم غـير العـالم، والقـدرة غـير القـــادر، والكلام غـــير المتكلم، كما أن العلم والقـــدرة، والكلام، صفات متغايرة.

الرابع: أن وصف الله تعالى: بصفات الإثبات أدل على الكمـــال من وصـــفه بصـــفات النفي، لأن الإثبـــات أمر وجــودي يقتضي تنــوع الكمــالات في حقــه، وأما النفي فأمر عدمي لا يقتضي كمالاً إلا إذا تضمن إثباتــاً وهــؤلاء النفاة لا يقولون بنفي يقتضي الإثبات.

الخامس: قولهم: " إن إثبات صـفات متغـايرة مغـايرة للموصــوف يســتلزم التعــدد.. " قــول باطل مخــالف للمعقـول، والمحسـوس فإنه لا يلـزم من تعـدد الصـفات تعدد الموصوف فها هو الإنســان الواحد يوصف بأنه حي، سـميع بصـير، عاقل متكلم إلى غـير ذلك من صـفاته ولا يلزم من ذلك تعدد ذاته.

السادس: قولهم في الأسماء: " إن إثباتها يستلزم أن يكــون متصــفاً بمعــنى الاسم فيقتضي أن يكــون إثباتها تشبيهاً ".

جوابــه: أن المعــاني الــتي تلــزم من إثبــات الأســماء صفات لائقة بالله تعالى: غير مستحيلة عليه، والمشاركة في الاســـم، أو الصـــفة لا تســـتلزم تماثل المســـميات والموصوفات.

الســـابع: قـــولهم: " إن الإثبـــات يســـتلزم تشـــبيهه بالموجودات ".

جوابه: أن النفي ـ الـذي قـالوا به ــ يسـتلزم تشـبيهه بالمعدومات على قيـاس قـولهم وذلك أقبح من تشـبيهه بــالموجودات وحينئذ فإما أن يقــروا بالإثبــات فيوافقــوا الجماعـــة، وإما أن ينكـــروا النفي كما أنكـــروا الإثبـــات فيوافقــوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغـيرهم، وأما التفريق بين هذا وهذا فتناقض ظاهر.

فصل

الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة والباطنية وغيرهم.

وطـريقتهم أنهم أنكـروا في حق الله تعـالى: الإثبـات والنفي، فنفـوا عنه الوجـود، والعـدم، والحيـاة والمـوت، والعلم، والجهل ونحوها وقالوا: إنه لا موجود ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا عالم، ولا جاهل ونحو ذلك.

وشـبهتهم أنهم اعتقـدوا أنهم إن وصـفوه بالإثبـات شـبهوه بـالموجودات وإن وصـفوه بـالنفي شـبهوه بالمعدومات.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن تسـمية الله ووصـفه بما سـمى ووصف به نفسه ليس تشبيهاً ولا يستلزم التشبيه، فـإن الاشـتراك في الاسم والصـفة لا يسـتلزم تماثل المسـميات والموصـوفات، وتسـميتكم ذلك تشـبيهاً ليس إلا تمويهـاً وتلبيساً على العامة والجهال ولو قبلنا مثل هذه الدعوى الباطلة لأمكن كل مبطل أن يسمي الشيء الحق بأسماء ينفر بها الناس عن قبوله.

الثـاني: أنه قَـدْ علم بضـرورة العقل والحس أن الموجـود الممكن لابد له من موجد واجب الوجـود، فإننا نعلم حـدوث المحـدثات ونشـاهدها، ولا يمكن أن تحـدث بدون محدث، ولا أن تحدث نفسها بنفسها لقوله تعـالى: ﴿ أم خلقـوا من غـير شـيء أم هم الخـالقون ﴾ [1]. فتعين أن يكون لها خالق واجب الوجـود وهو الله تعـالى:. ففي الوجود إذاً موجودان:

أحدهما: أزلي واجب الوجود بنفسه.

الثاني: محدث ممكن الوجود، موجود بغـيره، ولا يلـزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يتفقا في خصائصه، فإن وجود الواجب يخصه، ووجود المحدث يخصه.

---

[1] سورة الطور، الآية: 35.

فوجود الخالق واجب أزلي ممتنع الحدوث أبـدي ممتنع الـزوال، ووجـود المخلـوق ممكن حـادث بعد العـدم قابل للـزوال، فمن لم يثبت ما بينهما من الاتفـاق والافـتراق لزمه أن تكـون الموجـودات كلها إما أزلية واجبة الوجـود بنفسـها أو محدثة ممكنة الوجـود بغيرها وكلاهما معلـوم الفساد بالاضطرار [2].

الثـالث: أن إنكـارهم الإثبـات والنفي، يسـتلزم نفي النقيضـين معـاً وهـذا ممتنـع، لأن النقيضـين لا يمكن اجتماعهما ولا ارتفاعهمـا، بل لابد من وجـود أحـدهما وحده فيلزم على قياس قـولهم تشـبيه الله بالممتنعـات لأنه يمتنع أن يكـون الشـيء لا موجـوداً، ولا معـدوماً، ولا حيـاً، ولا ميتـاً، إلا أمـراً يقـدره الـذهن ولا حقيقة لـه، ووصف الله سبحانه بهذا مع كونه مخالفاً لبداهة العقول كفر صريح بما جاء به الرسول.

فإن قالوا: نفي النقيضين ممتنع عما كـان قـابلاً لهما أما ما كان غير قابل لهما كالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بالسـمع والصـمم فإنه يمكن نفيهما عنه فيقـال : ليس بسميع ولا أصم.

فالجواب من أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن هـذا لا يصح فيما قـالوه من نفي الوجود والعدم فإن تقابلهما تقابل سلب وإيجاب باتفاق العقلاء فإذا انتفى أحدهما لزم ثبـوت الآخـر، فـإذا قيل : ليس بموجـود. لـزم أن يكـون معـدوماً. وإذا قيـل: ليس بمعدوم لزم أن يكون موجـوداً، فلا يمكن نفيهما معـاً ولا إثباتهما معاً.

الوجه الثـاني: أن قـولهم في الجمـاد : إنه لا يقبل الاتصاف بالحيـاة، والمـوت، والعمى، والبصـر، والسـمع، والصمم ونحوها مما يكون تقابله تقابل عدم وملكة قول اصـطلاحي لا يغـير الحقـائق مـردود بما ثبت من جعل الجمـاد حيـاً كما جعل الله عصا موسى حية تلقف ما صـنعه السـحرة وقد وصف الله تعـالى: الجمـاد بأنه ميت في قوله:) والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شـيئاً

---

[2] ر: 6/ 43 م ف ق.

وهم يخلقــون . أمــوات غــير أحيــاء وما يشــعرون أيــان يبعثون)[1]. وأخبر أن الأرض يوم القيامة تحـدث أخبارها وهي ما عمل عليها من خير وشر وهذا يســتلزم ســمعها لما قيل ورؤيتها لما فعل.

الوجه الثالث: أن الـذي يقبل الاتصـاف بالكمـال أكمل من الذي لا يقبله فما يقبل أن يوصف بـالعلم، والقـدرة، والسـمع، والبصر ولو كـان خاليـاً منه أكمل مما لا يقبل ذلك، فقولكم إن الـرب لا يقبل أن يتصف بـذلك يسـتلزم أن يكون أنقص من الإنسان القابل لذلك حيث شـبهتموه بالجماد الذي لا يقبله.

الوجه الرابع: أنه إذا كان يمتنع انتفاء الوجـود والعـدم فانتفاء عدم قبول ذلك أشد، وعلى هـذا يكـون قـولهم : إن الــرب لا يقبل الاتصــاف بــالوجود والعــدم مســتلزماً لتشبيهه بأشد الممتنعات.

فصل

علم مما ســـبق أن كل طائفة من هـــؤلاء الطوائف الأربع واقعون في محاذير:

الأول: مخالفة طريق السلف.

الثاني: تعطيل النصوص عن المراد بها.

الثالث: تحريفها إلى معان غير مرادة بها.

الرابع: تعطيل الله عن صفات الكمـال الـتي تضـمنتها هذه النصوص.

الخامس: تناقض طريقتهم فيما أثبتوه وفيما نفوه.

فنقــول لكل واحد منهم في جــانب الإثبــات: أثبت ما نفيت مع نفي التشـــــبيه، كما أثبت ما أثبت مع نفي التشبيه.

ونقــول له في جــانب النفي: انف ما أثبت خوفــاً من التشـبيه، كما نفيت ما نفيت خوفـاً ما التشـبيه وإلا كنت متنافضاً.

---

[1] سورة النحل، الآيتان: 20-21.

والقول الفصل المطرد السـالم من التنـاقض ما كـان عليه سـلف الأمة وأئمتها من إثبـات ما أثبته الله تعـالى: لنفسه من الأسماء والصفات ، إثباتاً بلا تمثيـل، وتنزيهـاً بلا تعطيل ، وإجــراء النصــوص على ظاهرها على الوجه اللائق بالله عز وجل من غــــير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل.

ويتبين هذا بأصلين، ومثلين، وخاتمة:

فأما الأصلان:

فأحـــدهما: أن يقـــال لمن يثبت بعض الصــفات دون بعض:

" القول في بعض الصفات كالقول في بعض ".

أي إن من أثبت شـــــــــيئاً مما أثبته الله لنفسه من الصفات ألزم بإثبـات البـاقي، ومن نفى شـيئاً منه ألـزم بنفي ما أثبته وإلا كان متناقضاً.

مثال ذلك: إذا كان المخـاطب يثبت لله تعـالى: حقيقة الإرادة، وينفي حقيقة الغضب ويفســــره: إما بـــــإرادة الانتقام، وإما بالانتقام نفسه.

فيقال له: لا فـرق بين ما أثبتّه من حقيقة الإرادة وما نفيته من حقيقة الغضب، فإن كان إثبـات حقيقة الغضب يستلزم التمثيل، فإثبات حقيقة الإرادة يستلزمه أيضاً.

وإن كــان إثبــات حقيقة الإرادة لا يســتلزمه، فإثبــات الغضب لا يستلزمه أيضاً، لأن القول في أحدهما كالقول في الآخــر، وعلى هــذا يلزمك إثبــات الجميــع، أو نفي الجميع.

فــإن قــال: الإرادة الــتي أثبتها لا تســتلزم التمثيــل، لأنــني أعــني بها إرادة تليق بالله عز وجل لا تماثل إرادة المخلوق.

قيل لــه: فــأثبت لله غضــباً يليق به ولا يماثل غضب المخلوق.

فــإن قــال: الغضب غليــان دم القلب لطلب الانتقــام وهذا لا يليق بالله تعالى:.

قيل لــه: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالى:.

فإن قـال: هـذه إرادة المخلـوق، وأما إرادة الله فتليق به.

قيل له: والغضب بالمعنى الذي قلت غضب المخلـوق، وأما غضب الله فيليق بـــه، وهكـــذا القـــول في جميع الصــفات الــتي نفاها يقــال له فيها ما يقوله هو فيما أثبته.

فــإن قــال: أُثْبِت ما أثبتُّه من الصــفات لدلالة العقل عليه.

أجبنا عنه بثلاثة أجوبة ســـبق ذكرها آخر الـــرد على الطائفة الأولى.

الأصل الثـاني: أن يقـال لمن يقر بـذات الله تعـالى: ويمثل في صفاته أو ينفيها :

" القول في الصفات كالقول في الذات".

يعـــني أن من أثبت لله تعـــالى: ذاتـــاً لا تماثل ذوات المخلـــوقين لزمه أن يثبت له صـــفات لا تماثل صـــفات المخلوقين، لأن القول في الصفات كالقول في الــذات، وهذا الأصل يخاطب به أهل التمثيــل، وأهل التعطيل من المعتزلة ونحوهم.

فيقال لأهل التمثيل : ألستم تثبتون لله ذاتاً بلا تمثيل فأثبتوا له صفات بلا تمثيل.

ويقــال لأهل التعطيل من المعتزلة ونحـوهم: ألسـتم تقولون بوجود ذات لا تشبه الذوات فكذلك قولوا بصفات لا تشبه الصفات.

مثــال ذلــك: إذا قــال: إن الله اســتوى على العــرش فكيف استواؤه؟

فيقــال له: القــول في الصـفات كـالقول في الــذات فأخبرنا كيف ذاته؟

فإن قال: لا أعلم كيفية ذاته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية استوائه.

وحينئذ يلزمه أن يقر باستواء حقيقي غير مماثل لاستواء المخلوقين ولا معلوم الكيفية، كما أقر بذات حقيقية غير مماثلة لذوات المخلوقين ولا معلومة الكيفية، كما قال مالك وشيخه ربيعة وغيرهما في الاستواء: " الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "[1].

فقوله: " الاستواء معلوم " أي معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وله معان بحسب إطلاقه وتقييده بالحرف فإذا قيد بـ (على) كان معناه العلو والاستقرار كما قال تعالى:) فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ([1]. وقال:) لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ([2]. فاستواء الله تعالى: على عرشه علوه عليه علواً خاصاً يليق به، على كيفية لا نعلمها، وليس هو العلو المطلق على سائر المخلوقات.

وقوله: " والكيف مجهول " أي إن كيفية استواء الله على عرشه مجهولة لنا وذلك لوجوه ثلاثة:

الأول: أن الله أخبرنا أنه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى.

الثاني: أن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف وهو الذات، فإذا كنا لا نعلم كيفية ذات الله فكذلك لا نعلم كيفية صفاته.

الثالث: أن الشيء لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتفٍ في استواء الله عز وجل على عرشه وهذا يدل على أن السلف يثبتون للاستواء كيفية لكنها مجهولة لنا.

وقوله: " والإيمان به واجب" أي إن الإيمان بالاستواء على هذا الوجه واجب، لأن الله تعالى: أخبر به عن

([1]) نقله المؤلف رحمه الله بالمعنى . والمحفوظ من لفظهما:(الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول). والخطب في ذلك سهل.

([1]) سورة المؤمنون، الآية: 28.

([2]) سورة الزخرف، الآية: 13.

نفسه، وهو أعلم بنفسه، وأصدق قولاً وأحسن حديثاً، فاجتمع في خبره كمال العلم، وكمال الصدق، وكمال الإرادة وكمال الفصاحة والبيان فوجب قبوله والإيمان به.

وقوله: " والسؤال عنه " أي عن كيفيته بدعة، لأن السؤال عنها لم يعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفائه الراشدين، وهو من الأمور الدينية فكان إيراده بدعة، ولأن السؤال عن مثل ذلك من سمات أهل البدع، ثم إن السؤال عنه مما لا تمكن الإجابة عليه فهو من التنطع في الدين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: هلك المتنطعون".

وهذا القول الذي قاله مالك وشيخه يقال في صفة نزول الله تعالى: إلى السماء الدنيا وغيره من الصفات: إنها معلومة المعنى، مجهولة الكيفية، وإن الإيمان بها على الوجه المراد بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

فصل

وأما المثلان:

فأحدهما نعيم الجنة فقد أخبر الله تعالى: أن في الجنة طعاماً، وشراباً ولباساً، وزوجات، ومساكن، ونخلاً، ورماناً، وفاكهة، ولحماً، وخمراً، ولبناً، وعسلاً، وماء، وحلية من ذهب ولؤلؤ وفضة وغير ذلك، وكله حق على حقيقته، وهو في الاسم موافق لما في الدنيا من حيث المعنى لكنه مخالف له في الحقيقة.

- **أما موافقته لما في الدنيا في المعنى فلأن الله تعالى: قال عن القرآن:) إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ([1]. ولولا موافقته له في المعنى ما فهمناه ولا عقلناه.**
- **وأما مخالفته له في الحقيقة فلقوله تعالى:) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 3.

جــزاء بما كــانوا يعملــون ([2]. وقوله في الحــديث القدسي: " أعددت لعبادي الصـالحين مـالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر". قـال ابن عباس رضي الله عنهما: " ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء".

فـإذا كـانت هـذه الأسـماء دالة على مسـمياتها حقيقة وكـان اتفاقها مع ما في الـدنيا من الأسـماء لا يسـتلزم اتفاق المسميات في الحقيقة بل بينهما من التباين مالا يعلمه إلا الله، فإن مباينة الخالق للمخلوق أعظم وأظهر من مباينة المخلــوق للمخلــوق، لأن التبــاين بين المخلوقـات تبـاين بين مخلـوق ومخلـوق مثله فـإذا ظهر التباين بينها كان بينها وبين الخالق أظهر وأولى.

وقد انقسم الناس في هذا المقام مقام الإيمان بالله واليوم الآخر إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: السـلف والأئمة وأتبـاعهم آمنـوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخـر، وأنه حق على حقيقته مع اعتقادهم التبـاين بين ما في الـدنيا وما في الآخرة، وأن التباين بين الخـالق والمخلـوق أولى وأعظم وأبين لقوله تعــالى:)ليس كمثله شــيء وهو الســميع البصير([3].

الفرقة الثانيــة: طوائف من أهل الكلام يؤمنــون بما أخــبر الله به عن اليــوم الآخر من الثــواب والعقــاب، وينفون كثيراً مما أخبر الله به عن نفسه من الصفات.

الفرقة الثالثـة: القرامطـة، والباطنيـة، والفلاسـفة لا يؤمنون بما أخبر الله به عن نفسـه، ولا عن اليـوم الآخر بل ينكرون حقائق هذا وهذا.

فمــذهبهم فيما أخــبر الله به عن نفسه وعن اليــوم الآخر أنه تخييل لا حقيقة له.

وأما في الأمر والنهي فكثير منهم يجعلون للمأمورات والمنهيـات تـأويلات باطنة تخـالف ما يعرفه المسـلمون

---

[2] سورة السجدة، الآية: 17.

[3] سورة الشورى، الآية: 11.

منها فيقولــون: المــراد بالصــلوات معرفة أســرارهم، وبالصيام كتمان أسرارهم، وبالحج السفر إلى شيوخهم، ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام أنه كـذب وافتراء وكفر وإلحاد.

وقد يقولون : إن الشـرائع تلـزم العامة دون الخاصـة، فإذا وصل الرجل إلى درجة العارفين والمحققين عندهم ارتفعت عنه التكاليف فسـقطت عنه الواجبـات وحلت له المحظورات.

وقد يوجد في المنتسبين إلى التصـوف والسـلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب.

وهؤلاء الباطنية هم الملاحدة الـذين أجمع المسـلمون على أنهم أكفر من اليهــود والنصــارى لعظم إلحــادهم ومخالفتهم لجميع الشرائع الإلهية.

المثل الثاني: الروح التي بها الحياة وهي أقرب شيء إلى الإنســان، بل هي قــوام الإنســان وقد وصــفت في النصوص بأنها تقبض من البدن، ويصعد بها إلى الســماء، وتعاد إلى البدن، ولا ينكر أحد وجودها حقيقــة، وقد عجز النــــاس عن إدراك كنهها وحقيقتها إلا ما علمــــوه عن طريق الوحي، واضطربوا فيها اضطراباً كثيراً لكـونهم لا يشاهدون لها نظيراً.

فمنهم طوائف من أهل الكلام جعلوها البدن، أو جزءاً منه، أو صفة من صفاته.

ومنهم طوائف من أهل الفلسـفة وصـفوها بــأمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجـود فقـالوا: لا هي داخل البـدن ولا خارجـــــــه، ولا مداخلة له ولا مباينة ولا متحركة ولا ساكنة،ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض. وقد يقولــون : إنها لا داخل العــالم ولا خارجــه، ولا مباينة له ولا مداخلة، كما يصفون بذلك الخالق الواجب الوجود.

فــإذا قيل لهم: إثبــات هــذا القــول ممتنع في العقل ضــرورة، قــالوا: هــذا ممكن، بــدليل أن الكليــات ممكنة موجــودة وهي غــير مشــار إليهــا. وقد غفلــوا عن كــون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان، فــإن

الـذهن يفـرض أشـياء في الخيـال لا يمكن وجودها في الخارج كأن يتخيل ارتفاع النقيضين أو اجتماعهما مع أن هذا ممتنع.

واعلم أن اضطراب المتكلمين والفلاسـفة في الـروح كثير وله سببان:

أحدهما: قلة بضاعتهم مما جاء به الوحي في صفاتها.

والثـاني: أنهم لا يشـاهدون لها نظـيراً، فـإن الـروح ليست من جنس هـــذا البـــدن، ولا من جنس العناصر والمولدات منهـا، وإنما هي من جنس آخر مخـالف لهـذه الأجنـاس فعرفها الفلاسـفة بالسـلوب الـتي تـوجب مخالفتها للأجسـام المشـهودة، وجعلها المتكلمـون من جنس الأجسام المشهودة فطريق الفلاسفة فيها تعطيل وطريق المتكلمين فيها تمثيل. وكلا الطريقين خطأ.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الروح إذا قبضت اتبعها البصر وأن الملائكة تجعلها في كفن وتصـعد بها إلى السـماء ومع هـذا فـالعقول قاصـرة عن إدراك كنهها وحقيقتها كما قال تعـالى:) ويسـألونك عن الــروح قل الــروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً([1].

فإذا كانت الروح حقيقة، واتصافها بما وصـفت به في الكتـــاب والســـنة حقيقة مع أنها لا تماثل الأجســـام المشهودة كان اتصـاف الخـالق بما يسـتحقه من صـفات الكمال مع مباينته للمخلوقات من باب أولى، وكـان عجز أهل العقـــول عن أن يحـــدوا الله أو يكيفـــوه أبين من عجزهم عن حد الروح وتكييفها.

وإذا كـان من نفى صـفات الـروح جاحـداً معطلاً، ومن مثلها بما يشـــاهد من المخلوقـــات جـــاهلاً بها ممثلاً، فالخالق سبحانه أولى أن يكـون من نفى صـفاته جاحـداً معطلاً، ومن قاسه بخلقه جاهلاً به ممثلاً.

الخاتمة

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 85.

هذه الخاتمة تشتمل على قواعد عظيمة مفيدة:

القاعدة الأولى:

أن الله تعالى: موصوف بالنفي والإثبات

يعــني أن الله تعــالى: جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات كما قال تعالى:) ليس كمثله شــيء وهو السـميع البصـير ([1]. وإنما جمع الله تعـالى: لنفسه بين النفي والإثبــات لأنه لا يتم كمــال الموصــوف إلا بنفي صـفات النقص، وإثبـات صـفات الكمـال، وكل الصـفات الـــتي نفاها الله عن نفسه صـــفات نقص كالإعيـــاء، واللغوب، والعجز، والظلم، ومماثلة المخلوقين.

وكل ما أثبته الله تعالى: لنفسه فهو صفات كمال كما قال الله تعالى:) ولله المثل الأعلى([2]. سواء كانت من الصـــفات الذاتية الـــتي يتصف بها أزلاً وأبـــداً، أم من الصفات الفعلية الـتي يتصف بها حيث تقتضـيها حكمتـه، وإن كان أصل هـذه الصـفات الفعلية ثابتـاً له أزلاً وأبـداً فإن الله تعالى: لم يزل ولا يزال فعالاً.

فصل

فمن صفات الله تعالى: التي أثبتها لنفسه: الحيـاة.. والعلم.. والقــدرة.. والســمع.. والبصــر.. والإرادة.. و الكلام.. والعزة.. والحكمة.. والمغفرة.. والرحمة.

فحياته تعــالى: حيــاة كاملة مســتلزمة لكل صــفات الكمــال لم يســبقها عــدم ولا يلحقها فنــاء كما قــال تعـالى:)توكل على الحي الـذي لا يمـوت([1].وقـال:)هو الأول والآخر ([2].وقـال:)الله لا إله إلا هو الحي القيـوم لا تأخذه سنة ولا نوم ([3].

---

(1) سورة الشورى، الآية: 11.

(2) سورة النحل، الآية: 60.

(1) سورة الفرقان، الآية: 58.

(2) سورة الحديد، الآية: 3.

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

وعلمه تعالى: كامل شامل لكل صغير، وكبير، وقريب، وبعيد، لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان كما قال الله تعالى: عن موسى حين سأله فرعون: ما بال القرون الأولى:) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ([4]. وقال تعالى:) إن الله بكل شيء عليم ([5].

وقدرته تعالى: كاملة لم تسبق بعجز ولا يلحقها تعب قال الله تعالى:) وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ([6]. وقال:) لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ([7]. وقال:) ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ([8].

وحكمته تعالى: حكمة بالغة منزهة عن العبث شاملة لخلقه وشرعه قال الله تعالى:)وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين.ما خلقناهما إلا بالحق([9].وقال تعالى:)الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ([10]وقال:) ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ([11].

وحكمته كسائر صفاته لا يحيط بها الخلق فقد نعجز عن إدراك الحكمة فيما خلقه أو شرعه، وقد ندرك منها ما يفتح الله به علينا.

وعلى هذا تجري سائر الصفات التي أثبتها الله تعالى: لنفسه فكلها صفات كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

([4] سورة طه، الآية: 52.

([5] سورة الأنفال، الآية: 75.

([6] سورة فاطر، الآية: 44.

([7] سورة الطلاق، الآية: 12.

([8] سورة ق، الآية: 38.

([9] سورة الدخان، الآيتان: 38-39.

([10] سورة الملك، الآية: 2.

([11] سورة الممتحنة، الآية: 10.

فصل

ومن الصفات التي نفاها الله تعالى: عن نفسه: الموت.. والجهل.. والنسيان.. والعجز.. والسنة.. والنوم.. واللغوب.. والإعياء.. والظلم.

قال الله تعالى:) وتوكل على الحي الذي لا يموت ([1]**.**

وقال عن موسى:) في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ([2]**.**

وقال:) وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ([3]**.**

وقال:) لا تأخذه سنة ولا نوم ([4]**.**

وقال:) وما مسنا من لغوب ([5]**. وقال:) ولم يعي بخلقهن (**[6]**. وقال:) ولا يظلم ربك أحداً (**[7]**.**

وكل صفة نفاها الله تعالى: عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:

أحدهما: انتفاء تلك الصفة.

الثاني: ثبوت كمال ضدها.

ألا ترى إلى قوله:) وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ([8]**. فإن الله تعالى: لما نفى عن نفسه العجز بين أن ذلك لكمال علمه وقدرته.**

وعلى هذا فنفي الظلم عن نفسه، متضمن لكمال عدله.

([1] سورة الفرقان، الآية: 58.

([2] سورة طه، الآية: 52.

([3] سورة فاطر، الآية: 44.

([4] سورة البقرة، الآية 255.

([5] سورة ق، الآية: 38.

([6] سورة الأحقاف، الآية: 33.

([7] سورة الكهف، الآية: 49.

([8] سورة فاطر، الآية: 44.

ونفي اللغوب والعي، متضمن لكمال قوته.

ونفي السـنة والنـوم، متضـمن لكمـال حياته وقيوميته.

ونفي الموت، متضمن لكمال حياته.

وعلى هذا تجري سائر الصفات المنفية.

ولا يمكن أن يكـون النفي في صـفات الله عز وجل نفياً محضاً، بل لابد أن يكون لإثبات كمال وذلك للوجوه التالية:

الأول: أن الله تعالى: قال: ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾[1]. أي الوصف الأكمل وهذا معدوم في النفي المحض.

الثـاني: أن النفي المحض عـدم محض، والعـدم المحض ليس بشـيء، وما ليس بشـيء فكيف يكـون مدحاً وكمالاً.

الثالث: أن النفي ـ إن لم يتضمن كمالاً ـ فقد يكـون لعدم قابلية الموصوف لذلك المنفي أو ضده، لا لكمـال الموصـوف كما إذا قيـل: " الجـدار لا يظلم " فنفي الظلم عن الجـدار ليس لكمـال الجـدار، ولكن لعـدم قابلية اتصافه بـالظلم أو العـدل، وحينئذ لا يكـون نفي الظلم عنه مدحاً له ولا كمالاً فيه.

الرابـع: أن النفي إن لم يتضـمن كمـالاً فقد يكـون لنقص الموصوف أو لعجزه عنه كما لو قيل عن شـخص عـاجز عن الانتصـار لنفسه ممن ظلمـه: " إنه لا يجـزي السيئة بالسيئة " فإن نفي مجازاته السيئة بمثلها ليس لكمال عفـوه ولكن لعجـزه عن الانتصـار لنفسه وحينئذ يكون نفي ذلك عنه نقصاً وذماً لا كمالاً ومدحاً.

ألم تر إلى قول الحماسي يهجو قومه:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

---

[1] سورة النحل، الآية: 60.

إلى أن قال:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

يريد بذلك ذمهم ووصفهم بالعجز لا مدحهم بكمال العفو بدليل قوله بعد:

فليت لي بهمو قوماً إذا ركبوا شنوا الإغارة ركباناً وفرسانا

وبهذا علم أن الذين لا يصفون الله تعالى: إلا بالنفي المحض لم يثبتوا في الحقيقة إلهاً محموداً بل ولا موجوداً كقولهم في الله عز وجل: " إنه ليس بداخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين، ولا محايث[2]، ولا فوق، ولا تحت، ولا متصل، ولا منفصل". ونحو ذلك.

ولهذا قال محمود بن سبكتكين[1] لمن ادعى ذلك في الخالق جل وعلا: " ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم " [2]. ولقد صدق رحمه الله فإنه لن يوصف المعدوم بوصف أبلغ من هذا الوصف الذي وصفوا به الخالق جل وعلا.

فمن قال: لا هو مباين للعالم، ولا مداخل للعالم فهو بمنزلة من قال: لا هو قائم بنفسه، ولا بغيره، ولا

([2]) المحايث: المداخل. ر 5 / 269 مجموع الفتاوى لابن القاسم.

([1]) محمود بن سبكتكين أحد كبار القادة يمين الدولة وأمين الملة استولى على الإمارة سنة 389 وأرسل إليه القادر بالله الخليفة العباسي خلعة السلطنة فقصد بلاد خراسان وامتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور كان تركي الأصل فصيحاً بليغاً حازماً صائب الرأي شجاعاً مجاهداً فتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم تتفق لغيره من الملوك لا قبله ولا بعده ومع ذلك كان في غاية الديانة والصيانة يكره المعاصي والملاهي وأهلها ويحب العلماء والصالحين ويجالسهم ويناظرهم مات في غزنة سنة 421 – 422 هـ عن ثلاث وستين سنة تولى الإمارة فيها ثلاثاً وثلاثين سنة رحمه الله وأكرم مثواه.

([2]) هو أبو بكر بن فورك المتكلم المعروف.

قديم، ولا محـدث، ولا متقـدم على العـالم، ولا مقـارن له.

ومن قـــال: ليس بحي، ولا ســـميع، ولا بصـــير، ولا متكلم، لزمه أن يكون ميتاً، أصم، أعمى، أبكم[3].

فصل

القاعدة الثانية

ما أخبر الله تعـالى: به في كتابـه، أو أخـبر به رسـوله صلى الله عليه وسلم وجب علينا الإيمان به، سواء عرفنا معناه، أم لم نعرفه

لقوله تعالى:) يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسـوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتـاب الـذي أنـزل من قبل ([1].وقوله:) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بـالحق من ربكم فـآمنوا خـيراً لكم وإن تكفـروا فـإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً([2].

ولأن خـبر الله تعـالى: صـادر عن علم تـام، فهو أعلم بنفسه وبغـيره كما قـال الله تعـالى:) قل أأنتم أعلم أم الله ([3].

ولأن خبر الله تعالى: أصدق الأخبار كما قال تعــالى:) ومن أصدق من الله حديثاً ([4].

ولأن كلام الله تعـالى: أفصح الكلام،وأبلغـه،وأبينه كما قـــال الله تعـــالى:)ولا يأتونك بمثل إلا جئنـــاك بـــالحق وأحسن تفسيراً([5].وقال:)الله نزل أحسن الحـديث كتابـاً متشــابهاً مثــاني([6]. متشــابهاً يشــبه بعضه بعضــاً في

---

[3] انظر الرد على الطائفة الرابعة غلاة الغلاة ص 24.

(1) سورة النساء، الآية: 136.

(2) سورة النساء، الآية: 170.

[3] سورة البقرة، الآية: 140.

[4] سورة النساء، الآية: 87.

[5] سورة الفرقان، الآية: 33.

[6] سورة الزمر، الآية: 23.

الكمال والبيان . وقال تعالى: :) نـزل به الـروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ([7].

ولأن الله تعالى: يريد بما أنزل إلى عبـاده من الـوحي أن يهتدوا ولا يضـلوا كما قـال تعـالى: :)يريد الله ليـبين لكم ويهديكم سـنن الـذين من قبلكم ([8]. وقـال:) يـبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ([9].

وهكذا خبر النبي صلى الله عليه وسلم صادر عن علم فإنه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربـه، وأسـمائه، وصفاته، وأحكامه.

وخبره أصدق أخبار البشر، وكلامه أفصح كلام البشـــر، وقصده أفضل مقصود البشر، فهو أنصح الخلق للخلق.

فقد اجتمع في خبر الله تعـالى: وخـبر رسـوله كمـال العلم، وكمــال الصــدق وكمــال البيــان، وكمــال القصد والإرادة، وهذه هي مقومات قبول الخبر ولهـذا لو صـدر الخبر عن جاهل أو كاذب، أو عيي، أو سـيئ قصد لم يكن مقبولاً لفقده مقومات القبول أو أحدها.

فإذا كانت مقومات قبـول الخـبر تامة على أكمل وجه في خبر الله ورسوله وجب الإيمان به، وقبوله سواء كان نفياً، أم إثباتاً، ولم يبق عذر لمعتذر في رده، أو تحريفـه، أو الشك في مدلولـه، لا سـيما في أسـماء الله تعـالى: وصفاته.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها وجب قبوله وعامة هـذا البـاب " بـاب الأسـماء والصـفات " منصـوص عليه في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة.

وأما ما تنــازع فيه المتــأخرون مما ليس في الكتــاب والسـنة ولا عند سـلف الأمة فليس على أحـد، بل وليس لأحد أن يثبت لفظــه، أو ينفيه لعــدم ورود الســمع بــه، وليس له أن يقبل معنـاه أو يـرده حـتى يعلم المـراد منه فإن كان حقاً وجب قبوله وإن كان باطلاً وجب رده.

---

[7] سورة الشعراء، الآيات193- 195 .

[8] سورة النساء، الآية: 26.

[9] سورة النساء، الآية: 176.

ولذلك أمثلة، منها:

المثال الأول: الجهة:

أي لو قال قائل: إن الله في جهة، أو هل لله جهة؟

فيقال له: لفظ " الجهة " ليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه، فليس فيهما أنه في جهة، أو له جهة، ولا أنه ليس في جهة، أو ليس له جهة، وفي النصوص ما يغني عنه كالعلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وصعود الأشياء إليه ونزولها منه.

وقد اضطرب المتأخرون في إثباته ونفيه، فإذا أجريناه على القاعدة قلنا: أما اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه لعدم ورود ذلك، وأما المعنى فينظر ماذا يراد بالجهة: أيراد بالجهة شيء مخلوق محيط بالله عز وجل، فهذا معنى باطل لا يليق بالله سبحانه فإن الله لا يحيط به شيء من مخلوقاته فقد وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، ولا يمكن أن يكون داخل شيء من مخلوقاته.

أم يراد بالجهة ما فوق العالم، فهذا حق ثابت لله عز وجل فإن الله تعالى: فوق خلقه عال عليهم، كما دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجارية كانت له: " أين الله ؟ " قالت: في السماء. قال: " من أنا؟ " قالت: أنت رسول الله. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة ".

المثال الثاني: الحيز أو المتحيز:

فإذا قال قائل: هل نصف الله تعالى: بأنه متحيز أو في حيز؟

قلنا: لفظ " التحيز " أو " الحيز " ليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه عن الله تعالى:، فليس فيهما أنه في حيز، أو متحيز، ولا أنه ليس كذلك وفي النصوص ما يغني عنه مثل الكبير المتعال.

وقد اضطرب المتأخرون في إثبات ذلك لله تعالى: أو نفيه عنه فإذا أجريناه على القاعدة قلنا: أما اللفظ فلا

نثبته ولا ننفيه لعدم ورود السمع به، وأما المعنى فينظر ماذا يراد بالحيز أو المتحيز أيراد به أن الله تعالى: تحوزه المخلوقات وتحيط به، فهـذا معـنى باطل منفي عن الله تعـالى: لا يليق به فـإن الله أكـبر، وأعظم، وأجل من أن تحيط به المخلوقــات وتحــوزه كيف وقد وسع كرســيه السـموات والأرض، والأرض جميعـاً قبضـته يـوم القيامة والسموات مطويات بيمينه؟ ! وفي الصـحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقبض الله تبارك وتعالى: الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض ؟". وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " ما السـموات السـبع والأرضـون السـبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".

أم يـــراد بـــالحيز أو المتحـــيز: أن الله منحـــاز عن المخلوقات أي مبـاين لها منفصل عنها ليس حـالاً فيهـا، ولا هي حالة فيه، فهـذا حق ثـابت لله عز وجل كما قـال أئمة أهل السنة :هو فوق سمواته على عرشه، بــائن من خلقه.

(تنبيه) جاء في القاعدة " أنه يجب علينا الإيمـان بما أخــبر الله به ورسـوله سـواء عرفنا معنــاه أم لا " لكن ليعلم أنه ليس في كلام الله ورسـوله شـيء لا يعــرف معناه جميع الأمة، بل لابد أن يكون معروفـاً لجميع الأمة أو بعضها لقوله تعالى:) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للنـاس ما نـــزل إليهم ولعلهم يتفكـــرون ([1]. وقولـــه:) ونزلنا عليك الكتـاب تبيانـاً لكل شـيء وهـدى ورحمة وبشـرى للمسلمين([2].

ولأنه لو كــان فيه مــالا يعلم معنـــاه أحد لكــان بعض الشـريعة مجهـولاً للأمـة، ولكن المعرفة والخفـاء أمـران نسبيان، فقد يكون معروفـاً لشـخص ما كـان خفيـاً على غــيره، إما لنقص في علمــه، أو قصــور في فهمــه، أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده.

([1]) سورة النحل، الآية 44.

([2]) سورة النحل، الآية 89.

فصل

القاعدة الثالثة

في إجراء النصوص على ظاهرها

ظاهر النصوص ما يتبـادر منها من المعـاني بحسب ما تضــاف إليه وما يحتف بها من القــرائن. والــواجب في النصـــوص إجراؤها على ظاهرها بـــدون تحريف لقوله تعالى:) وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين([1]. وقولــه:) إنا جعلنــاه قرآنا عربيــاً لعلكم تعقلــون([2]. وقولـه:) اتبعـوا ما أنـزل إليكم من ربكم ولا تتبعـوا من دونه أولياء([3].

فإذا كان الله تعـالى: أنزله باللســان العـربي من أجل عقله وفهمــه، وأمرنا باتباعــه، وجب علينا إجــراؤه على ظــاهره بمقتضى ذلك اللســان العــربي، إلا أن تمنع منه حقيقة شرعية. ولا فـرق في هـذا بين نصـوص الصـفات وغيرها، بل قد يكون وجوب الـتزام الظـاهر في نصـوص الصــفات أولى وأظهــر، لأن مــدلولها تــوقيفي محض لا مجال للعقول في تفاصيله.

فإن قال قائل : في نصوص الصفات لا يجـوز إجراؤها على ظاهرها لأن ظاهرها غير مراد.

فجوابه أن يقـال: مـاذا تريد بالظـاهر؟ أتريد ما يظهر من النصــوص من المعــاني اللائقة بالله من غــير تمثيل فهذا الظاهر مراد لله ورسوله قطعاً، وواجب على العباد قبوله، والإيمان به شرعاً، لأنه حق ولا يمكن أن يخــاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظـاهره بـدون بيـان كيف وقد قال:)يريد الله ليبين لكم ويهديكم سـنن الـذين من

---

[1] سورة الشعراء، الآيتان: 192-195 .

[2] سورة الزخرف، الآية: 3.

[3] سورة الأعراف، الآية: 3.

قبلكم [4]. وقـال:) يـبين الله لكم أن تضـلوا ([5]. ويقـول عن رسوله صـلى الله عليه وسـلم:) وأنزلنا إليك الـذكر لتبين للنـاس ما نـزل إليهم([6]. ويقـول:) وإنك لتهـدي إلى صراط مستقيم ([7]. ومن خاطب غـيره بما يريد منه خلاف ظاهره بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده.

أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل، فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة، لأن هذا الظـاهر الـذي فهمته كفر وباطل بـالنص والإجمـاع، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسـوله كفـراً وبـاطلاً ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين.

وقد اتفق سـلف الأمة وأئمتها على أن نصـوص الصـفات تجـري على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غـير تحريف ، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخـالق بالمخلوق ، فـاتفقوا على أن لله تعـالى: حيـاة، وعلماً ، وقدرة ، وسمعاً، وبصراً ، حقيقة، وأنه مستو على عرشه حقيقة ، وأنه يحب ، ويرضى ، ويكـره ، ويغضب حقيقة ، وأن له وجهاً ويدين حقيقة لقوله تعـالى: :)وتوكل على الحي الذي لا يموت ([1]. وقوله :) وهو بكل شـيء عليم ([2].ـ) وهو على كل شـيء قـدير ([3].ـ) وهو السـميع البصير ([4]. وقوله:) الـرحمن على العـرش اسـتوى([5]. وقولـه:) فسـوف يـأتي الله بقـوم يحبهم ويحبونه ([6].)رضي الله عنهم ورضـوا عنه([7])ولكن كـره الله

---

[4] سورة النساء، الآية: 26.

[5] سورة النساء، الآية: 176.

[6] سورة النحل، الآية 44.

[7] سورة الشورى، الآية: 52.

[1] سورة الفرقان: الآية: 58.

[2] سورة البقرة، الآية: 29.

[3] سورة المائدة، الآية: 120.

[4] سورة الشورى، الآية 11.

[5] سورة طه، الآية: 5.

[6] سورة المائدة، الآية: 54.

[7] سورة المائدة، الآية: 119.

انبعـــــاثهم فثبطهم ([8].ـــــ) وغضب الله عليه ولعنه([9]وقوله :) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ([10].:)بل يداه مبسوطتان([11].

فـأجروا هـذه النصـوص وغيرها من نصـوص الصـفات على ظاهرها وقــالوا : إنه مــراد على الوجه اللائق بالله تعالى: فلا تحريف، ولا تمثيل.

وبيان ذلك: أن من صفاتنا ما هو معان وأعراض قائمة بنا كالحياة والعلم، والقدرة. ومنها ما هو أعيان وأجسام وهي أبعـاض لنا كالوجه واليـدين. ومن المعلـوم أن الله وصف نفسه بأنه حي، عليم، قدير، ولم يقل المســلمون : إن المفهوم من حياته، وعلمه، وقدرته، كـالمفهوم من حياتنا، وعلمنا وقـدرتنا، فكـذلك لما وصف نفسه بـأن له وجهاً ويدين لم يكن المفهوم من وجهه ويديه كالمفهوم من وجوهنا وأيدينا. وإنما قال المسلمون : إن المفهــوم من صفات الله في هذا وهذا لا يماثل المفهوم منها في صـفاتنا بل كل صـفة تناسب الموصـوف وتليق بـه، فلما كــانت ذات الخــالق لا تماثل ذوات المخلــوقين، فكــذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين. وقد سـبق أن القـول في الصفات كالقول في الذات.

فتبين بـذلك أن من قـال: إن ظـاهر نصـوص الصـفات غــير مــراد فقد أخطأ على كل تقــدير، لأنه إن فهم من ظاهرها معنى فاســداً وهو التمثيل فقد أخطأ في فهمه وأصـاب في قوله : "غـير مـراد " وإن فهم من ظاهرها معـنى صـحيحاً وهو المعـنى اللائق بالله فقد أصـاب في فهمه وأخطأ في قوله : "غير مــراد" فهو إن أصــاب في معنى ظاهرها أخطأ في نفي كونه مراداً، وإن أخطأ في معنى ظاهرها أصاب في نفي كونه مـراداً، فيكـون قوله خطأ على كل تقدير.

([8] سورة التوبة، الآية: 46.

([9] سورة النساء، الآية : 93.

([10] سورة الرحمن، الآية: 27.

([11] سورة المائدة، الآية: 64.

والصــواب الــذي لا خطأ فيه أن ظاهرها مــراد، وأنه ليس إلا معنى يليق بالله.

فصل

والذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسداً فينكرونه يكون خطؤهم على وجهين:

الأول: أن يفســروا النص بمعــنى فاسد لا يــدل عليه اللفظ فينكرونه لذلك ويقولون: إن ظاهره غير مراد.

مثال ذلك: قوله تعالى: في الحديث القدسـي: " يا بن آدم مرضت فلم تعــــدني، يا بن آدم اســــتطعمتك فلم تطعمني، يا بن آدم استسـقيتك فلم تسـقني ". الحـديث رواه مسلم.

قــالوا: فظـــاهر الحـــديث أن الله يمــرض، ويجـــوع، ويعطش وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقــول: لو أعطيتم النص حقه لتـــبين لكم أن هـــذا المعـنى الفاسد ليس ظـاهر اللفـظ، لأن سـياق الحـديث يمنع ذلك فقد جاء مفسراً بقول الله تعالى: في الحديث نفسه: " أما علمت أن عبدي فلانــاً مـرض فلم تعـده، أما علمت أنه اســـتطعمك عبـــدي فلان فلم تطعمــــه، واستسقاك عبدي فلان فلم تسقه". وهذا صـريح في أن الله ســبحانه لم يمــرض، ولم يجـــع، ولم يعطش، وإنما حصل المرض، والجوع، والعطش من عبد من عباده.

ومثــال آخــر: قوله تعـالى: عن سـفينة نــوح: ﴿ تجـري بأعيننا ﴾ [1].

قالوا: فظاهر الآية أن السـفينة تجـري في عين اللـه، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: دعواكم أن ظاهر الآية أن السفينة تجري في عين الله سبحانه مردودة من جهة التركيب اللفظي ومن جهة المعنى أيضاً.

أما الــتركيب اللفظي: فإنه إذا قــال القائــل: " فلان يسـير بعيـني" لم يفهم أحد من هـذا الـتركيب أنه يسـير

---

(1) سورة القمر، الآية: 14.

داخل عينيه، ولو ادعى مدع أن هـذا ظـاهر لفظه لضـحك منه السـفهاء فضـلاً عن العقلاء، وإنما يفهم منه أن عينيه تصحبه بـالنظر والرعايـة، لأن البـاء هنا للمصـاحبة وليست للظرفية.

وأما المعنى: فإن من المعلـوم أن نوحـاً عليه الصـلاة والسلام كان في الأرض، وأنه صنع السـفينة في الأرض، وجــرت على المــاء في الأرض كما قــال الله تعــالى:) ويصـنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سـخروا منه ([2]. وقال:) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر. ففتحنا أبـواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيوناً فـالتقى المـاء على أمر قد قدر. وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجــري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ([3].

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن ظـاهر اللفظ أن السـفينة تجـــري في عين الله عز وجـــل، لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعـالى:، ولا يمكن لمن عـرف اللـه، وقدره حق قدره، وعلم أنه مستو على عرشـه، بـائن من خلقه، ليس حالاً في شيء من مخلوقاتـه، ولا شـيء من مخلوقاته حالاً فيه أن يفهم من هذا اللفظ هـذا المعـنى الفاسد.

وعلى هــذا فمعــنى الآية الــذي هو ظــاهر اللفظ أن السفينة تجري والله تعالى: يكلؤها بعينه.

ومثال ثالث: في الأثر: " الحجر الأسـود يمين الله في الأرض، فمن صــافحه وقبلــه، فكأنما صــافح الله وقبل يمينه".

قـــالوا: فظـــاهر الأثر أن الحجر نفسه يمين الله في الأرض، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: أولاً: هذا الأثر روي عن النبي صلى الله عليه وســلم بإســناد لا يثبت والمشــهور أنه عن ابن عبــاس. قلت: قـال ابن الجـوزي: هـذا حـديث لا يصح وقـال ابن العربي: حديث باطل فلا يلتفت إليه. أهـ.

---

[2] سورة هود، الآية: 38.

[3] سورة القمر، الآيات: 10-14.

ثانيــاً: أنه على تقــدير صــحته صــريح في أن الحجر الأســود ليس نفس يمين الله لأنه قــال:"يمين الله في الأرض" فقيــــــــده في الأرض ولم يطلق وحكم اللفظ المقيد يخــالف المطلــق، ومعلــوم أن الله تعــالى: في السماء، ولأنه قـال: " فمن صـافحه وقبله فكأنما صـافح الله وقَبّل يمينه " ومعلوم أن المشـبه غـير المشـبه بـه، فـالأثر ظـاهر في أن مسـتلم الحجر ليس مصـافحاً للـه، وليس الحجر نفس يمين الله فكيف يجعل ظـاهره كفـراً يحتاج إلى تأويل.

الوجه الثاني: أن يفسروا اللفظ بمعنى صحيح موافق لظاهره لكن يردونه لاعتقادهم أنه باطل وليس بباطل .

مثال ذلك قوله تعالى:) الرحمن على العرش استوى([1].

قالوا: فظاهر الآية أن الله علا على العرش، والعـرش محدود فيلزم أن يكون الله سبحانه محدوداً، وهذا معــنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقـول: إن علو الله تعـالى: على عرشــه- وإن كــان العــرش محــدوداً - لا يســتلزم معــنى فاســداً فــإن الله تعالى: قد علا على عرشه علواً يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل علو المخلــوق على المخلــوق، ولا يلــزم منه أن يكـون الله محـدوداً، وهو علو يختص بـالعرش، والعـرش أعلى المخلوقات فيكون الله تعالى: عالياً على كل شيء وهذا من كماله وكمال صفاته فكيف يكون معنى فاســداً غير مراد؟!

مثـال آخـر: قوله تعـالى:) بل يـداه مبسـوطتان ينفق كيف يشاء ([1]. قالوا: فظـاهر الآية أن لله تعـالى: يـدين حقيقيتين وهما جارحة، وهـذا معـنى فاسد فيكـون غـير مراد.

فنقـول: إن ثبـوت اليـدين الحقيقيـتين لله عز وجل لا يستلزم معنى فاسداً، فـإن لله تعـالى: يـدين حقيقيـتين

([1] سورة طه، الآية: 5.

([1] سورة المائدة، الآية: 64.

تليقـان بجلاله وعظمتـه، بهما يأخذ ويقبض، ولا تمـاثلان أيدي المخلوقين، وهذا من كماله وكمال صفاته قال الله تعالى:) وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضــته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ([2]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال : قـال النـبي صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصـدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخــذها الــرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكـون أعظم من الجبـل". فـأي معـنى فاسد يلـزم من ظـاهر النص حـتى يقال : إنه غير مراد ؟ !

- **وقد يجتمع الخطأ من الوجهين في مثال واحد مثل قوله صـلى الله عليه وسـلم: " إن قلـوب بـني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء".**

فقالوا على الوجه الأول: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشـرة والمماسـة، وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا معــنى فاسد فيكون غير مراد.

وقالوا على الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح وهـذا معـنى فاسد فيكـون غـير مراد.

فنقول على الوجه الأول: إن كون قلوب بـني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة لا يلزم منه المباشــرة والمماســـة، ولا أن تكـــون أصـــابع الله عز وجل داخل أجوافنا ألا تـرى إلى قوله تعـالى:) والسـحاب المسـخر بين السماء والأرض ([3]. فإن السـحاب لا يباشر السـماء ولا الأرض ولا يماسهما.

ويقـال: سـترة المصـلي بين يديه وليست مباشـرة له ولا مماسة له.

---

[2] سورة الزمر، الآية: 67.

[3] سورة البقرة، الآية: 164.

فإذا كانت البينية لا تستلزم المباشـرة والمماسة فيما بين المخلوقـــــات فكيف بالبينية فيما بين المخلـــــوق والخالق الـذي وسع كرسـيه السـموات والأرض وهو بكل شـــيء محيـــط، وقد دل الســـمع والعقل على أن الله تعالى: بائن من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقــه، ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف على ذلك.

ونقول على الوجه الثاني: إن ثبوت الأصـابع الحقيقية لله تعالى: لا يستلزم معنى فاسـداً، وحينئذ يكـون مـراداً قطعــاً، فــإن لله تعــالى: أصــابع حقيقية تليق بالله عز وجل، ولا تماثل أصابع المخلوقين وفي صـحيح البخـاري ومسـلم عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه قـال: " جـاء حـبر من الأحبـار إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السـموات على إصـبع والأرضـين على إصـبع، والشـجر على إصـبع، والمـاء والـثرى على إصـبع، وسـائر الخلائق على إصـبع فيقول:أنا الملك فضـحك النـبي صـلى الله عليه وسـلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبرثم قرأ رسـول الله صـــلى الله عليه وســـلم:) وما قـــدروا الله حق قـــدره والأرض جميعاً قبضته يـوم القيامة والسـموات مطويـات بيمينه ســبحانه وتعــالى: عما يشــركون ([1]. هــذا لفظ البخاري في تفسير سورة الزمر.

فأي معنى فاسد يلـزم من ظـاهر النص حـتى يقـال : إنه غير مراد ؟ !

ويشــبه هــذا الخطأ أن يجعل اللفظ نظــيراً لما ليس مثله كما قيل في قوله تعـالى:) لما خلقت بيـدي ([2]إنه مثل قوله تعـالى:) مما عملت أيـدينا ([3]فيكـون المـراد باليد نفس الفاعل في الآيـتين. وهـذا غلط فـإن الفـرق بينهما ثابت من وجوه ثلاثة:

الأول: من حيث الصــــيغة فـــإن الله قـــال في الآية الأولى:) لما خلقت بيــدي (. وهي تخــالف الصــيغة في

([1] سورة الزمر، الآية: 67.

([2] سورة ص، الآية: 75.

([3] سورة يس، الآية: 71.

الآية الثانية فإن الله قال فيها:) مما عملت أيـدينا (. ولو كـانت الأولى نظـيرة للثانية لكـان لفظهـا: (لما خلقت يـداي). فيضـاف الخلق إليهمـا، كما أضـيف العمل إليها في الثانية.

الثاني: أن الله تعـالى: أضـاف في الآية الأولى الفعل إلى نفسه معـدى بالبـاء إلى اليـدين فكـان سـبحانه هو الخالق وكان خلقه بيديه. ألا ترى إلى قول القائل: كتبت بالقلم فإن الكاتب هو فاعل الكتابة، ومدخول البـاء وهو القلم حصلت به الكتابة.

وأما الآية الثانية:) مما عملت أيدينا (. فأضاف الفعل فيها إلى الأيدي المضافة إليه وإضافة الفعل إلى الأيدي كإضافته إلى النفس فكأنه قال : مما عملنا. ألا ترى إلى قوله تعـالى: :) وما أصـابكم من مصـيبة فبما كسـبت أيديكم ([4]. والمراد بما كسبتم بدليل قوله في آية أخرى :) فأصابهم سيئات ما كسبوا ([5].

الوجه الثـالث: أن الله تعـالى: أضـاف الفعل في الآية الأولى :) لما خلقت بيـدي ([1]معـدى بالبـاء إلى يـدين اثنتين ، ولا يمكن أن يـراد بهما نفسه لدلالة التثنية على عدد محصور باثنين ، والـرب-جل وعلا-إله واحد فلا يمكن أن يذكر نفسه بصيغة التثنية لدلالة ذلك على صريح العدد وحصـره ولكنه تعـالى: يـذكر نفسه تـارة بصـيغة الإفـراد للتوحيد، وتارة يذكر نفسه بصـيغة الجمع للتعظيم، وربما يدل الجمع على معاني أسمائه.

أما في الآية الثانية فأضـــــاف الفعل إلى الأيـــــدي المضـافة إليه مجموعة للتعظيم فصـار المـراد بها نفسه المقدسة جل وعلا.

وبهذا تـبين الفـرق بين قولـه:) لما خلقت بيـدي ([2]. وقولـه:) مما عملت أيـدينا ([3]وأنها ليست نظـيراً لهـا.

---

[4] سورة الشورى، الآية: 30.

[5] سورة الزمر، الآية: 51.

[1] سورة الشورى، الآية: 75.

[2] سورة ص، الآية: 75.

[3] سورة يس، الآية: 71.

وتبين أيضـاً أن ظـاهر النصـوص في الصـفات حق ثـابت مـراد لله تعـالى: على الوجه اللائق بـه، وأنه لا يسـتلزم نقصاً في حقه ولا تمثيلاً له بخلقه.

لكن لو كنا نخاطب شخصـاً لا يفهم من ظاهرها إلا ما يقتضي التمثيل فإننا نقـول لـه: إن هـذا الظـاهر الـذي فهمته غير مراد، ثم نبين له أن هذا ليس ظاهر النصوص لأنه باطل لا يقتضيه السياق كما سبق بيانه.

القاعدة الرابعة

توهم بعض الناس في نصوص الصفات والمحاذير المترتبة على ذلك

اعلم أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات التي دلت عليها النصوص، أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد أن ينفي ذلك الوهم الذي توهمه فيقع في أربعة محاذير:

الأول : أنه فهم من النصوص صفات تماثل صفات المخلوقين ، وظن أن ذلك هو مدلول النص،وهذا فهم خاطئ، فإن الصفة التي دلت عليها النصوص تناسب موصوفها وتليق به.

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر، وضلال، لأنه تكذيب لقوله تعالى:) ليس كمثله شيء([1]. ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص الكفر والضلال لقوله تعالى:) يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ([2]. وقوله:) يبين الله لكم أن تضلوا ([3].

الثاني: أنه جنى على النصوص حيث نفى ما تدل عليه من المعاني الإلهية، ثم أثبت لها معاني من عنده، لا يدل عليها ظاهر اللفظ، فكان جانياً على النصوص من وجهين.

الثالث: أنه نفى ما دلت عليه النصوص من الصفات بغير علم فيكون بذلك قائلاً على الله ما لا يعلم، وهذا محرم بالنص، والإجماع قال الله تعالى:) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي

---

(1) سورة الشورى، الآية: 11.

(2) سورة النساء، الآية: 26.

(3) سورة النساء، الآية: 176.

بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ([4].

الرابع: أنه إذا نفى عن الله عز وجل ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال لزم أن يكون الله سبحانه متصفاً بنقيضها من صفات النقص، وذلك لأنه ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، فإذا انتفت صفة الكمال عنها، لزم اتصافها بصفات النقص.

وحينئذ يكون من نفى عن الله تعالى: ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال، متعدياً في حق الله تعالى:، حيث جمع بين نفي صفات الكمال عنه، وتمثيله بالمنقوصات والمعدومات، بل قد يرتقي به الغلو في النفي إلى تمثيله بالممتنعات المستحيلات.

ويكون أيضاً جانياً على النصوص حيث عطلها عما دلت عليه من صفات الكمال لله تعالى:، وأثبت لها معاني من عنده لا يدل عليها ظاهرها فيجمع بين النفي، والتمثيل في صفات الله، وبين التحريف، والتعطيل في نصوص الكتاب والسنة، ويكون ملحداً في أسماء الله وآياته وقد قال الله تعالى:) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ([1]. وقال:) إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ([2].

مثال ذلك: أن الله تعالى: أخبر عن نفسه أنه استوى على العرش فيتوهم واهم أنه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام، وأنه محتاج إلى العرش كحاجة الإنسان للأنعام والفلك، فلو عثرت الدابة لخر المستوي عليها، ولو انخرقت السفينة لغرق المستوي عليها، فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب على قياسه الفاسد، فينفي بذلك حقيقة الاستواء، ومنشأ هذا الوهم

([4] سورة الأعراف، الآية: 33.

([1] سورة الأعراف، الآية: 180.

([2] سورة فصلت، الآية: 40.

الــذي توهمه في اســتواء الله على عرشه ظنه أنه مثل اسـتواء الإنسـان على ظهـور الأنعـام والفلك وهـذا ظن فاسد لأن الله تعـــالى: أضـــاف الاســـتواء إلى نفسه الكريمـة، لم يـذكر اسـتواء مطلقـاً يصـلح للمخلـوق، ولا عامـاً يتنـاول المخلـوق، فتعين أن يكـون اسـتواء خاصـاً يليق به كســـائر صـــفاته وأفعاله لا يماثل اســـتواء المخلوقين، كما أن الله نفسه لا يماثل المخلوقين.

ألا ترى إلى قوله تعالى:) والسماء بنيناها بأيد ([3]هل يتوهم أحد أن بنـاءه إياها كبنـاء المخلـوق سـقف الـبيت بحيث يحتــاج إلى زنبيــل، ومجــارف وضــرب لبن، وجبل طين ونحو ذلـك، فـإذا كـان لا يحتـاج إلى ذلك في هـذا الفعل من أفعاله، لـزم أن لا يكـون محتاجـاً إلى العـرش في اســتوائه عليه بل هو ســبحانه الغــني عن العــرش وغيره.

فتجد هذا الذي نفى حقيقة الاسـتواء الـذي هو ظـاهر النصوص وقع في تلك المحاذير الأربعة:

1. **فقد مثل ما فهمه من اســتواء الله على عرشه باستواء المخلوقين.**
2. **وعطل النصـــوص عما دلت عليه من صـــفة الاســتواء اللائق باللــه، ثم حرفها إلى معــان لا تــدل عليها.**
3. **وكان نفيه لـذلك وتعطيله بلا علم، بل عن جهـل، وظن فاسد.**
4. **ولــزم من نفيه لصــفة الكمــال الــتي تضــمنها الاستواء ثبوت صفة نقص بفوات هذا الكمال.**

مثـال آخـر: قوله تعـالى:) أأمنتم من في السـماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ([1]. فيتــوهم واهم أن الله تعـالى: داخل السـماء، وأن السـماء تحيط به كما لو قلنا : فلان في الحجرة فإن الحجـرة محيطة بــه، فينفي

([3] سورة الذاريات، الآية 47.

([1] سورة الملك، الآية: 16.

بنـاء على هـذا الـوهم كـون الله تعـالى: في السـماء ويقول: إن الذي في السماء ملكه وسلطانه ونحو ذلك.

ومنشأ هذا الوهم ظنه أن (في) التي للظرفية تكون بمعنى واحد في جميع مواردها، وهذا ظن فاسد، فإن (في) يختلف معناها بحسب متعلقها فإنه يفرق بين كون الشيء في المكان، وكون العرض في الجسم، وكون الوجه في المرآة، وكون الكلام في الورق المكتوب فيه، فلو قيل: هل العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل : في السماء مع أن العرش أكبر من السماء كثيراً.

وعلى هذا فيخرج قوله:) أأمنتم من في السماء ([2] على أحد وجهين:

إما أن تكون السماء بمعنى العلو، فإن السماء يراد بها العلو كما في قوله تعالى:) وأنزل لكم من السماء ماء ([3]. والمطر ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض لا من السماء نفسها، فيكون معنى كونه تعالى: في السماء أنه في العلو المطلق فوق جميع المخلوقات، وليس هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء سوى الله تعالى:.

وإما أن تكون (في) بمعنى (على) كما جاءت بمعناها في مثل قوله تعالى:) فسيروا في الأرض ([4]. أي على الأرض وقوله عن فرعون:) ولأصلبنكم في جذوع النخل ([5]. أي على جذوع النخل وعلى هذا فيكون معنى قوله تعالى:) أأمنتم من في السماء([6]. أي على السماء أي فوقها والله تعالى: فوق السموات وفوق كل شيء.

فتجد هذا الذي نفى أن يكون الله في السماء حقيقة وقع في المحاذير الأربعة:

([2] سورة الملك، الآية: 16.

([3] سورة النمل، الآية: 60.

([4] سورة آل عمران، الآية: 137.

([5] سورة طه، الآية: 71.

([6] سورة الملك، الآية: 16.

1. فقد مثل ما فهمه من كـــون الله تعـــالى: في السماء بكون المخلوق في الحجرة ونحو ذلك.

2. وعطل النصـــــوص عما دلت عليه من علو الله تعالى: في السماء، ثم حرفها إلى معان لا تدل عليها.

3. وكـــان نفيه وتعطيله بلا علم، بل عن جهـــل، وظن فاسد.

4. ولزم من نفيه لصفة الكمـال الـتي تضـمنها كونه في السماء ثبـوت صـفة النقص، لأن نفيه لصـفة العلو يستلزم أحد أمرين ولابد:

فإمّا أن يكون الله تعالى: في كل مكان بذاته والقـول بهـذا في غاية الضـلال والكفـر، لأنه يسـتلزم إما تعـدد الخالق، وإما تبعضه، ويستلزم كذلك أن يكون في محلات القذر والأذى التي يتنزه عنها كل ذي مـروءة، فضـلاً عن الخالق.

وإما أن يكون الله تعالى: لا داخل العـالم، ولا خارجـه، ولا فوق، ولا تحت ولا متصلاً، ولا منفصلاً، ولا مباينـاً، ولا محايثـــاً ونحو ذلك من العبـــارات المتضـــمنة للتعطيل المحض، وحقيقة هذا نفي وجود الخالق جل وعلا.

القاعدة الخامسة

في علمنا بما أخبر الله تعالى: به عن نفسه

ما أخبرنا الله به عن نفسه فهو معلــوم لنا من جهـــة، ومجهول من جهة.

معلـــوم لنا من جهة المعـــنى، ومجهـــول لنا من جهة الكيفية.

أما كونه معلومـــاً لنا من جهة المعـــنى فثـــابت بدلالة السمع، والعقل.

فمن أدلة الســـمع قوله تعـــالى:)كتـــاب أنزلنـــاه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب([1]. وقوله:) أفلا يتدبرون القـرآن ولو كـان من عند غـير الله لوجـدوا فيه

([1]) سورة ص، الآية: 29.

اختلافاً كثيراً ([2]. وقوله:) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلــوب أقفالها ([3]. وقوله صــلى الله عليه وســلم: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

فحث الله تعـالى: على تـدبر القـرآن كله ولم يسـتثن شــيئاً منــه، ووبخ من لم يتــدبره، وبين أن الحكمة من إنزاله أن يتـدبره الـذين أنـزل إليهم ويتعظ به أصـحاب العقول، ولولا أن له معنى بالتدبر لكان الحث على تدبره من لغو القــول، ولكــان الاشــتغال بتــدبره من إضــاعة الـوقت، ولفـاتت الحكمة من إنزالـه، ولما حسن التـوبيخ على تركه.

والحث على تــدبر القــرآن شــامل لتــدبر جميع آياته الخبرية العلمية والحكمية العمليــة، فكما أننا مــأمورون بتدبر آيات الأحكام لفهم معناها والعمل بمقتضـاها، إذ لا يمكن العمل بها بــــدون فهم معناهــــا، فكــــذلك نحن مــأمورون بتــدبر آيــات الأخبــار لفهم معناهــا، واعتقــاد مقتضاها، والثناء على الله تعالى: بها، إذ لا يمكن اعتقاد ما لم نفهمه، أو الثناء على الله تعالى: به.

وأما دلالة العقل على فهم معاني ما أخبر الله تعالى: به عن نفسه فمن وجهين:

أحــدهما: أن ما أخــبر الله به عن نفسه أعلى مــراتب الأخبار وأغلى مطالب الأخيار، فمن المحال أن يكــون ما أخبر الله به عن نفسه مجهول المعنى، وما أخــبر به عن فرعون، وهامان، وقارون، وعن قوم نوح، وعاد، وثمـود، والذين من بعدهم، معلوم المعـنى مع أن ضـرورة الخلق لفهم معنى ما أخبر الله به عن نفسه أعظم وأشد.

الثــاني: أنه من المحــال أن يــنزل الله تعــالى: على عبـاده كتابــاً يعـرفهم به بأســمائه، وصــفاته، وأفعالــه،

---

[2] سورة النساء، الآية: 82.

[3] سورة محمد، الآية: 24.

وأحكامــه، ويصــفه بأنه عليّ حكيم [1] كــريم [2] عظيم [3] مجيد [4]مبين بلسان عربي ليعقل ويفهم [5].

ثم تكـــون كلماته في أعظم المطـــالب غـــير معلومة المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية الــتي لا يعلمها النــاس إلا أماني، ولا يخرجون بعلمها عن صــفة الأمية كما قــال تعالى:) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ([6].

فإن قلت: ما الجواب عن قوله تعالى:) هو الذي أنزل عليك الكتــاب منه آيــات محكمــات هن أم الكتـــاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغــاء الفتنة وابتغــاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراســخون في العلم يقولــون آمنا به كل من عند ربنا وما يــذكر إلا أولو الألبــاب ([7]. فــإن هــذا يقتضي أن في القرآن آيات متشابهات لا يعلم تأويلهن إلا الله؟

قلنــا: الجــواب أن للســلف في الوقف في هــذه الآية قولين:

أحدهما: الوقف عند قوله:) إلا الله (وهو قول جمهور الســلف والخلف وبنــاء عليه يكــون المــراد بالتأويل في قولــه:) وما يعلم تأويله إلا الله (الحقيقة الــتي يــؤول الكلام إليهــا، لا التفســير الــذي هو بيــان المعــنى فتأويل آيات الصــفات على هــذا هو حقيقة تلك الصــفات وكنهها وهذا من الأمــور الغيبية الــتي لا يــدركها العقل ولم يــرد بها السمع فلا يعلمها إلا الله.

الثاني: الوصل فلا يقفون على قولــه:) إلا الله (وهو قول جماعة من السلف والخلف، وبناء عليه يكون المراد بالتأويل في قوله:) وما يعلم تأويله إلا الله والراســخون في العلم (. التفسير الذي هو بيان المعنى.

---

[1] (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم).

[2] (إنه لقرآن كريم).

[3] (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

[4] (بل هو قرآن مجيد).

[5] (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون).

[6] سورة البقرة، الآية: 78.

[7] سورة آل عمران، الآية: 7.

وهذا معلوم للراسخين في العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله". وقال مجاهد: " عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها".

وبهذا تبين أن الآية لا تدل على أن في القرآن شيئاً لا يعلم معناه إلا الله تعالى:، وإنما تدل على أن في القرآن شيئاً لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله، على قراءة الوقف، وتدل على أن الراسخين في العلم يعلمون معنى المتشابه الذي يخفى على كثير من الناس على قراءة الوصل، وعلى هذا فلا تعارض ما ذكرناه من أنه ليس في القرآن شيء لا يعلم معناه.

فصل

وأما كون ما أخبرنا الله به عن نفسه مجهولاً لنا من جهة الكيفية فثابت بدلالة السمع، والعقل.

فأما دلالة السمع فمن وجهين:

الأول: قوله تعالى:) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً([1]. فإن نفي الإحاطة بالله علماً ، شامل للإحاطة بذاته، وصفاته، فلا يعلم حقيقة ذاته وكنهها إلا هو سبحانه وتعالى:، وكذلك صفاته.

الثاني: أن الله أخبرنا عن ذاته وصفاته، ولم يخبرنا عن كيفيتها، وعقولنا لا تدرك ذلك، فتكون الكيفية مجهولة لنا، لا يحل لنا أن نتكلم فيها أو نقدرها بأذهاننا لقوله تعالى:) ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ([2]. وقوله:) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ([3].

---

[1] سورة طه، الآية: 110.

[2] سورة الإسراء، الآية: 36.

[3] سورة الأعراف، الآية: 33.

وأما دلالة العقل على ذلك: فلأن الشيء لا تدرك كيفيته إلا بمشاهدته، أو بمشاهدة نظيره المساوي له، أو الخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية ذات الله تعالى: وصفاته، فتكون كيفية ذات الله وصفاته مجهولة لنا.

وأيضاً فإننا نقول: ما هي الكيفية التي تقدرها لذات الله تعالى: وصفاته؟ ! إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، أو تنطق بها بلسانك فالله أعظم وأجل من ذلك، وإن أي كيفية تقدرها في ذهنك، أو تنطق بها بلسانك فستكون كاذباً فيها، لأنه ليس لك دليل عليها.

تتمة

بهذا التقرير الذي تبين به أنه لا يمكن أن يكون في القرآن شيء لا يعلم معناه إلا الله يتبين بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني آيات الصفات ويدعون أن هذا هو مذهب السلف وقد ضلوا فيما ذهبوا إليه، وكذبوا فيما نسبوه إلى السلف، فإن السلف إنما يفوضون علم الكيفية دون علم المعنى، وقد تواترت النقول عنهم بإثبات معاني هذه النصوص إجمالاً أحياناً، وتفصيلاً أحياناً، فمن الإجمال قولهم: " أمروها كما جاءت بلا كيف " ومن التفصيل ما سبق عن مالك في الاستواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " المعروف باسم " العقل والنقل" 1/16 المطبوع على هامش منهاج السنة 1/201 تحقيق رشاد سالم " وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله". إلى أن قال: " فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون

معنـــاه". قـــال: " ومعلـــوم أن هـــذا قـــدح في القـــرآن، والأنبياء إذ كان الله أنـزل القـرآن وأخـبر أنه جعله هـدى وبياناً للنـاس، وأمر الرسـول أن يبلغ البلاغ المـبين، وأن يبين للنـاس ما نـزل إليهم، وأمر بتـدبر القـرآن وعقلـه، ومع هـــذا فأشـــرف ما فيه وهو ما أخـــبر به الـــرب عن صـفاته، أو عن كونه خالقـاً لكل شـيء وهو بكل شـيء عليم، أو عن كونه أمر، ونهى، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليـــوم الآخر لا يعلم أحد معنـــاه فلا يعقـــل، ولا يتدبر، ولا يكـون الرسـول بين للنـاس ما نـزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المـبين، وعلى هـذا التقـدير فيقـول كل ملحد ومبتـدع: الحق في نفس الأمر ما علمته بـرأيي وعقلي، وليس في النصـوص ما ينـاقض ذلـك، لأن تلك النصـوص مشـكلة متشـابهة، ولا يعلم أحد معناها ومـالا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهـدى والبيـان من جهة الأنبيـاء، وفتحـاً لبـاب من يعارضهم ويقول : إن الهـدى والبيـان في طريقنا لا في طريق الأنبيـاء، لأنا نحن نعلم ما نقـول ونبينه بالأدلة العقليـة، والأنبيـاء لم يعلمـوا ما يقولـون، فضـلاً عن أن يـبينوا مـرادهم، فتـبين أن قـول أهل التفـويض الـذين يزعمـون أنهم متبعـون للسـنة والسـلف من شر أقـوال أهل البدع والإلحاد". اهـ كلامه رحمه الله.

فصل

في التأويل

التأويل لغـة: ترجيع الشـيء إلى الغاية المـرادة منـه، من الأوْل وهو الرجوع.

وفي الاصـطلاح: رد الكلام إلى الغاية المـرادة منـه، بشرح معناه، أو حصول مقتضاه ويطلق على ثلاثة معان:

الأول: " التفسـير " وهو توضـيح الكلام بـذكر معنـاه المراد به ومنه قوله تعالى: عن صاحبي السجن يخاطبان يوسف:) نبئنا بتأويله ([1]. وقول النـبي صـلى الله عليه وسـلم لابن عبـاس رضي الله عنهمـا: " اللهم فقهه في الـدين وعلمه التأويل ". وسـبق قـول ابن عبـاس رضي

---

[1] سورة يوسف، الآية: 36.

الله عنهما:" أنا من الراسـخين في العلم الـذين يعلمـون تأويله". ومنه قـول ابن جرير وغـيره من المفسـرين : " تأويل قوله تعالى:" أي تفسيره.

والتأويل بهذا المعنى معلوم لأهل العلم.

المعـنى الثـاني: مـآل الكلام إلى حقيقتـه، فـإن كـان خبراً فتأويله نفس حقيقة المخبر عنه وذلك في حق الله كنه ذاته وصـفاته الـتي لا يعلمها غـيره وإن كـان طلبـاً فتأويله امتثال المطلوب.

مثال الخبر: قوله تعالى:) هل ينظرون إلا تأويله ([2]. أي ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا وقـوع حقيقة ما أخـبروا به من البعث والجـزاء، ومنه قوله تعـالى: عن يوسـف:) هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ([3].

ومثـال الطلب: قــول عائشة رضي الله عنها : " كــان النبي صلى الله عليه وسـلم يكـثر أن يقـول في ركوعه وسـجوده: سـبحانك اللهم ربنا وبحمـدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن " أي يمتثل ما أمـره الله به في قولـه:) إذا جاء نصر الله والفتح .ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان تواباً ([4].

وتقول : فلان لا يتعامل بالربا يتأول قول الله تعـالى:) وأحل الله البيع وحرم الربا ([5].

والتأويل بهذا المعنى مجهول حتى يقع فيدرك واقعاً.

فأما قوله تعــــــــــــالى:) وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولــون آمنا به كل من عند ربنا ([6]. فيحتمل أن يكــون المــراد بالتأويل فيها التفســير، ويحتمل أن يكون المراد به مـآل الكلام إلى حقيقته بنـاء على الوقف فيها والوصـــل. فعلى قـــراءة الوقف عند قولـه:) إلا الله (. يتعين أن يكـون المـراد به مـآل الكلام

([2]) سورة الأعراف، الآية: 53.

([3]) سورة يوسف، الآية: 100.

([4]) سورة النصر، الآيات: 1-3.

([5]) سورة البقرة، الآية: 275.

([6]) سورة آل عمران، الآية: 7.

إلى حقيقته، لأن حقائق ما أخــبر الله به عن نفسه وعن اليــوم الآخر لا يعلمها إلا الله عز وجــل، وعلى قــراءة الوصل يتعين أن يكون المـراد به التفسـير، لأن تفسـيره معلــــوم للراســـخين في العلم فلا يختص علمه بالله تعالى:.

فنحن نعلم معنى الاستواء أنه العلو والاستقرار، وهذا هو التأويل المعلــوم لنـــا، لكننا نجهل كيفيته وحقيقته الـتي هو عليها وهـذا هو التأويل المجهـول لنـا، وكـذلك نعلم معاني ما أخبرنا الله به من أسمائه وصفاته، ونمـيز الفـرق بين هـذه المعـاني فنعلم معـنى الحيـاة، والعلم، والقــدرة، والســمع، والبصر ونحو ذلك ونعلم أن الحيــاة ليست هي العلم، وأن العلم ليس هو القدرة وأن القدرة ليست هي الســمع، وأن الســمع ليس هو البصــر، وهكـذا بقية الصفات والأسماء، لكننا نجهل حقائق هذه المعاني وكنهها الذي هي عليه بالنسبة إلى الله عز وجل.

وهذان المعنيان للتأويل هما المعنيان المعروفـان في الكتاب، والسنة وكلام السلف.

المعــنى الثــالث للتأويــل: صــرف اللفظ عن المعــنى الراجح إلى المعنى المرجوح لـدليل يقتضـيه. وإن شـئت فقل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر لدليل يقتضيه. وهذا اصطلاح كثير من المتــأخرين الــذين تكلموا في الفقه وأصوله وهو الذي عنــاه أكـثر من تكلم من المتـــأخرين في تأويل نصــوص الصـــفات وهل هو محمود، أومذموم، وهل هو حق، أو باطل؟

والتحقيــــق: أنه إن دل عليه دليل صــــحيح فهو حق محمـود يعمل به ويكـون من المعـنى الأول للتأويل وهو التفسـير، لأن تفسـير الكلام تأويله إلى ما أراده المتكلم به سواء كان على ظـاهره أم على خلاف ظـاهره ما دمنا نعلم أنه مراد المتكلم.

مثال ذلك قوله تعـالى:) أتى أمر الله فلا تسـتعجلوه ([1]. فإن الله تعالى: يخوف عباده بإتيان أمره المسـتقبل، وليس يخــبرهم بــأمر أتى وانقضى بــدليل قولــه:) فلا

---

[1] سورة النحل، الآية: 1.

تسـتعجلوه (. ومنه قوله تعـالى:) فـإذا قـرأت القـرآن فاسـتعذ بالله من الشـيطان الـرجيم ([2]. فـإن ظـاهر اللفظ إذا فرغت من القراءة والمـراد إذا أردت أن تقـرأ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسـتعيذ إذا أراد أن يقرأ لا إذا فرغ من القراءة.

وإن لم يـدل عليه دليل صـحيح كـان بـاطلاً مـذموماً، وجديراً بأن يسمى تحريفاً لا تأويلاً.

مثال ذلك قوله تعالى:) الرحمن على العرش اسـتوى ([1]. فإن ظـاهره أن الله تعـالى: علا على العـرش علـواً خاصاً يليق بالله عز وجل وهذا هو المراد فتأويله إلى أن معنـاه اسـتولى وملـك، تأويل باطل مـذموم، وتحريف للكلم عن مواضعه لأنه ليس عليه دليل صحيح.

فصل

اعلم أن الله تعـالى: وصف القـرآن بأنه محكم، وبأنه متشابه، وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه.

فالأول كقوله تعالى:) تلك آيات الكتاب الحكيم ([1].

والثـاني كقولـه:) الله نـزل أحسن الحـديث كتابـاً متشابهاً ([2].

والثالث كقوله:) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ([3].

فالإحكـام الـذي وصف به جميع القـرآن هـو: الإتقـان والجـودة في اللفظ والمعـنى، فألفـاظ القـرآن كله في أكمل البيـان، والفصـاحة، والبلاغـة، ومعانيه أكمل المعـاني، وأجلهـا، وأنفعها للخلق حيث تتضـمن كمـال الصـدق في الأخبـار وكمـال الرشد والعـدل في الأحكـام كما قال الله تعالى:)وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ([4].

([2] سورة النحل، الآية: 98.

([1] سورة طه، الآية: 5.

([1] سورة يونس، الآية: 1.

([2] سورة الزمر، الآية: 23.

([3] سورة آل عمران، الآية: 7.

([4] سورة الأنعام، الآية: 115.

والتشـــابه الـــذي وصف به جميع القـــرآن هو تشـــابه القـــرآن في الكمـــال والإتقـــان، والائتلاف، فلا ينـــاقض بعضه بعضـــاً في الأحكـــام، ولا يكـــذب بعضه بعضـــاً في الأخبار كما قـال الله تعـالى:)أفلا يتـدبرون القـرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ([5].

والإحكام الـذي وصف به بعض القـرآن هـو: الوضـوح، والظهور بحيث يكـون معنـاه واضـحاً بينـاً لا يشـتبه على أحد وهذا كثير في الأخبار والأحكام.

مثاله في الأخبـار قوله تعـالى:) شـهر رمضـان الـذي أنزل فيه القرآن ([6]فكل أحد يعرف شـهر رمضـان وكل أحد يعرف القرآن.

ومثاله في الأحكام قوله تعالى:) وبالوالدين إحساناً ([7]. فكل أحد يعرف والديه وكل أحد يعرف الإحسان.

وأما التشـــابه الـــذي وصف به بعض القـــرآن فهـــو: الاشتباه أي خفاء المعنى بحيث يشتبه على بعض النـاس دون غيرهم، فيعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم.

موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف

وكيفية الجمع بينها

موقفنا من اختلاف هـذه الأوصـاف وكيف نجمع بينها أن نقول:

إن وصف القـــرآن جميعه بالإحكـــام، ووصـــفه جميعه بالتشـابه لا يتعارضـان والجمع بينهمـا: أن الكلام المحكم المتقن يشـــبه بعضه بعضـــاً في الكمـــال، والصـــدق فلا يتناقض في أحكامه، ولا يتكاذب في أخباره.

وأما وصف القــرآن بــأن بعضه محكم وبعضه متشــابه فلا تعــارض بينهما أصــلاً، لأن كل وصف وارد على محل لم يرد عليه الآخر، فبعض القـرآن محكم ظـاهر المعـنى،

---

[5] سورة النساء، الآية: 82.

[6] سورة البقرة، الآية: 185.

[7] سورة النساء، الآية: 36.

وبعضه متشـــابه خفي المعـــنى، وقد انقسم النـــاس في ذلك إلى قسمين:

فالراســـخون في العلم يقولـــون: آمنا به كل من عند ربنا، وإذا كان من عنـده فلن يكـون فيه اشـتباه يسـتلزم ضلالاً، أو تناقضـاً، ويـردون المتشـابه إلى المحكم فصـار مآل المتشابه إلى الإحكام.

وأما أهل الضـلال والزيغ فـاتبعوا المتشـابه وجعلـوه مثـاراً للشك والتشـكيك فضـلوا، وأضـلوا وتوهمـوا بهـذا المتشابه مالا يليق بالله عز وجل ولا بكتابه ولا برسوله.

مثال الأول[1]: قوله تعـالى:) إنا نحن نحـيي المـوتى ([2]. وقولـه:) إنا نحن نزلنا الـذكر وإنا له لحـافظون([3]. ونحوهما مما أضـاف الله فيه الشـيء إلى نفسه بصـفة الجمع ، فاتبع النصراني هذا المتشابه وادعى تعدد الآلهة وقال : إن الله ثالث ثلاثة ، وترك المحكم الـدال على أن الله واحد.

وأما الراســـخون في العلم: فيحملـــون الجمع على التعظيم لتعـــدد صـــفات الله وعظمهـــا، ويـــردون هـــذا المتشـــابه إلى المحكم في قوله تعـــالى:) وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ([4]. ويقولـون للنصـراني: إن الـدعوى التي ادعيت بما وقع لك من الاشـتباه قد كفـرك الله بها وكـذبك فيها فاسـتمع إلى قوله تعـالى:) لقد كفر الـذين قـــالوا إن الله ثـــالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد([5]. أي كفروا بقولهم : إن الله ثالث ثلاثة.

ومثـال الثـاني[1]: قوله تعـالى: لنبيه صـلى الله عليه وســـلم:) إنك لا تهـــدي من أحببت ([2]. وقولـــه:) وإنك

([1] توهم ما لا يليق بالله عز وجل.

([2] سورة يس، الآية: 12.

([3] سورة الحجر، الآية: 9.

([4] سورة البقرة: الآية: 163.

([5] سورة المائدة، الآية: 73.

([1] توهم ما لا يليق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

([2] سورة القصص، الآية: 56.

لتهـدي إلى صـراط مسـتقيم ([3]. ففي الآيـتين مـوهم تعــارض فيتبعه من في قلبه زيغ ويظن بينهما تناقضــاً وهو النفي في الأولى ، والإثبـات في الثانيـة. فيقـول: في القرآن تناقض.

وأما الراسـخون في العلم فيقولـون: لا تنـاقض في الآيتين فالمراد بالهداية في الآية الأولى هداية التوفيـق، وهـذه لا يملكها إلا الله وحـده فلا يملكها الرسـول ولا غـيره. والمـراد بها في الآية الثانية هداية الدلالة وهـذه تكـون من الله تعـالى:، ومن غـيره فتكـون من الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين.

ومثـال الثـالث[4]:قوله تعـالى: لنبيه صـلى الله عليه وسلم:) فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقـرؤون الكتـاب من قبلك لقد جـاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين([5]. ففي الآية ما يوهم وقـوع الشك من النـبي صـلى الله عليه وسـلم مما أنـزل إليه فيتبعه من في قلبه زيغ فيــدعي أن النــبي صــلى الله عليه وسلم وقع منه ذلك فيطعن في رسـول الله صـلى الله عليه وسلم.

وأما الراسخون في العلم فيقولون: إن النـبي صـلى الله عليه وسـلم لم يقع منه شك ولا امـتراء فيما أنـزل إليه، كيف وقد شـهد الله له بالإيمـان في قوله تعـالى:) آمن الرسـول بما أنـزل إليه من ربه والمؤمنـون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ([6]. وقوله:)فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون([7]

ويقولون: إن مثل هذا التعبير) فإن كنت في شك (لا يلزم منه وقوع الشرط بل ولا إمكانه كقوله تعالى:) قل

([3] سورة الشورى، الآية: 52.

([4] توهم ما لا يليق بالقرآن.

([5] سورة يونس، الآية: 94.

([6] سورة البقرة، الآية: 285.

([7] سورة الأعراف، الآية: 158.

إن كان للـرحمن ولد فأنا أول العابـدين ([9]. فـإن وجـود الولد لله عز وجل ممتنع غاية الامتناع كما قـال تعـالى:) وما ينبغي للـــرحمن أن يتخذ ولـــداً ([10]. فكـــذلك الشك والامـتراء من رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فيما أنزل إليه ممتنع غاية الامتناع ولكن جـاءت العبـارة بهـذه الصـــيغة الشـــرطية لتأكيد امتنـــاع الشك والامـــتراء من رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فيما أنـزل إليه من الله عز وجل.

فإن قلت: ما الحكمة من كون بعض القرآن متشابهاً ؟

فالجواب: أن الحكمة من ذلك ابتلاء العبـاد واختبـارهم ليتبين الصـادق في إيمانه الراسخ في عمله الـذي يـؤمن بالله وكلماتـــــــه، ويعلم أن كلام الله عز وجل ليس فيه تنـــاقض، ولا اختلاف، فـــيرد ما تشـــابه منه إلى ما كـــان محكماً، ليصير كله محكماً من الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشـــابه منـــه، ليضـــرب كتـــاب الله تعـــالى: بعضه ببعض، فيضل ويضل، ويكون إماماً في الضلال والشـــقاء فيفتن الناس في دينهم، ويـوقعهم في الشك والحـيرة، ويفتن بعضـــهم ببعض) فأما الـــذين في قلـــوبهم زيغ فيتبعـون ما تشـابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراســخون في العلم يقولــون آمنا به كل من عند ربنا وما يـــذكر إلا أولـــوا الألبـــاب . ربنا لا تـــزغ قلوبنا بعد إذ هـــديتنا وهب لنا من لـــدنك رحمة إنك أنت الوهاب ([1].

تتمة

التشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي ونسبي:

([9] في معـنى هـذه الآية أقـوال. أظهرها أنه إن كـان للـرحمن ولد ــ على سـبيل الفـرض الممتنع ــ فـإن ذلك لن يحملـني على عبـادة ذلك الولد بل سـأكون أول العابدين لله ولن أعبد الولد وذلك لأن المعبود لم يذكر فيها فنصـرف المعـني إلى من لا تصح العبادة إلا له وهو الله تعالى.

([10] سورة مريم: الآية: 92.

([1] سورة آل عمران، الآيتان: 7- 8 .

فـالحقيقي: ما لا يعلمه إلا الله عز وجل مثـل: حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليـوم الآخر فإنـا- " وإن كنا نعلم معــاني تلك الأخبــار" - لا نعلم حقائقها وكنهها كما قال الله تعالى: عن نفسه:) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطـــون به علمـــاً ([1]. وقـــال:) لا تدركه الأبصــار وهو يــدرك الأبصــار([2]. وقــال عما في اليــوم الآخر:) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون([3]. وفي الحـديث القدسي الثـابت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال: " أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر".

فما أخـــبر الله به عن نفســـه، وعن اليـــوم الآخر فيه ألفـاظ متشـابهة تشـبه معانيها ما نعلمه في الـدنيا، كما أخبر عن نفسه أنه حي، عليم، قدير، سميع، بصير، ونحو ذلــــك، ونحن نعلم أن ما دلت عليه هــــذه الأســــماء من الصـفات ليس ممـاثلاً في الحقيقة لما للمخلـوق منهـا، فحقيقتها لا يعلم معناها إلا اللــه. كما نعلم أن في الجنة لحماً، ولبناً، وعسلاً، وماء، وخمراً، ونحو ذلـك، ولكن ليس حقيقة ذلك من جنس ما في الــــــــدنيا، وحينئذ لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى:.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأســماء المعلومة معانيها في الشــاهد، ويعلم بها ما في الغـائب بواســـطة العلم بما في الشـــاهد، مع العلم بالفـــارق الممــيز، وأن ما أخــبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد.

وهذا النـوع الـذي لا يعلمه إلا الله لا يسـأل عنه لتعـذر الوصول إليه.

وأما النسبي: فهو ما يكون مشتبهاً على بعض النــاس دون بعض، فيعلم منه الراسـخون في العلم والإيمـان ما

---

[1] سورة طه، الآية: 110.

[2] سورة الأنعام، الآية: 103.

[3] سورة السجدة، الآية: 17.

يخفى على غيرهم، إما لنقص في علمهم أو تقصير في طلبهم، أو قصور في فهمهم، أو سوء في قصدهم.

وهذا النوع يسأل عن بيانه، لأنه يمكن الوصول إليه إذ ليس في القـرآن شـيء لا يتـبين معنـاه لأحد من النـاس كيف وقد قال الله عز وجل:) ونزلنا عليك الكتاب تبيانــاً لكل شيء ([4]. وقال:) هذا بيان للناس وهـدى وموعظة للمتقين ([5].

وقال:) فإذا قرأناه فـاتبع قرآنه .ثم إن علينا بيانه ([1]. وقــال:) يا أيها النــاس قد جــاءكم برهــان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً([2]. وقال:)شـهر رمضـان الـذي أنـــزل فيه القـــرآن هـــدى للنـــاس وبينـــات من الهـــدى والفرقان([3].

ولهذا النوع أمثلة كثيرة في المسائل العلمية الخبرية، والمسائل العملية الحكمية وغالب المسائل الــتي اختلف الناس فيها أو كلها من هذا النوع.

فمن أمثلة ذلك في المســائل العلمية الخبريــة: قوله تعالى:) ليس كمثله شيء ([4]. حيث اشـتبه على النفـاة أهل التعطيل ففهمـــوا منه انتفـــاء الصـــفات عن الله تعالى:، ظناً منهم أن إثباتها يستلزم مماثلة الله تعــالى: للمخلوقين فنفـوا عن الله تعـالى: ما وصف به نفسه أو بعضــه، وأعرضــوا عن الأدلة الســمعية، والعقلية الدالة على ثبوت صفات الكمال لله عز وجل، وغفلوا عن كـون الاشـــتراك في أصل المعـــنى لا يســـتلزم المماثلة في الحقيقة.

---

(4) سورة النحل، الآية: 89.

(5) سورة آل عمران، الآية: 138.

(1) سورة القيامة، الآيتان: 18- 19.

(2) سورة النساء، الآية: 174.

(3) سورة البقرة، الآية: 185.

(4) سورة الشورى، الآية: 11.

ثم لو أمعنوا في النظر في هذا المنفي)ليس كمثله شيء(.لتبين لهم أنه يدل على ثبوت الصفات لا على انتفائها،لأن نفي المماثلة يدل على ثبوت أصل المعنى لكن لكماله تعالى: لا يماثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولولا ثبوت أصل الصفة لم يكن لنفي المثل فائدة.

ومن أمثلة ذلك في المسائل العملية الحكمية قوله صلى الله عليه وسلم: " صلوا كما رأيتموني أصلي". حيث اشتبه على بعض الناس ففهموا منه أنه شامل للكمية والكيفية وبنوا على ذلك أنه لا تجوز الزيادة في صلاة الليل على العدد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم به، فلا يزاد في التراويح في رمضان على إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة، ولكن من تأمل الحديث وجده دالاً على الكيفية فقط، دون الكمية إلا أن تكون الكمية في ضمن الكيفية كعدد الصلاة الواحدة ويدل لذلك ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: ما ترى في صلاة الليل؟ قال: " مثنى مثنى فإذا خشي الصبح صلى واحدة فأوترت له ما صلى ". وفي رواية أن السائل قال:كيف صلاة الليل؟ ولو كان عدد قيام الليل محصوراً لبينه النبي صلى الله عليه وسلم لهذا السائل ولهذا كان الراجح أن يقتصر في قيام الليل على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة وإن زاد على ذلك فلا بأس.وأمثلة ذلك كثيرة، تعلم من كتب الفقه المعنية بذكر الخلاف والترجيح بين الأقوال، والله المستعان.

القاعدة السادسة

في ضابط ما يجوز لله ويمتنع عنه نفياً وإثباتاً

صفات الله تعالى: دائرة بين النفي والإثبات-كما سبق -فلابد من ضابط لهذا وذاك.

فالضابط في النفي أن ينفى عن الله تعالى:

أولاً: كل صفة عيب كالعمى والصمم والخرس والنـوم والموت ونحو ذلك.

ثانيـــــاً: كل نقص في كماله كنقص حياته أو علمه أو قدرته أو عزته أو حكمته أو نحو ذلك.

ثالثـــاً: مماثلته للمخلـــوقين كـــأن يجعل علمه كعلم المخلـــوق أو وجهه كوجه المخلـــوق أو اســـتواؤه على عرشه كاستواء المخلوق ونحو ذلك.

فمن أدلة انتفاء الأول عنه: قوله تعـالى:) ولله المثل الأعلى (فإن ثبوت المثل الأعلى له وهو الوصف الأعلى يستلزم انتفاء كل صفة عيب.

ومن أدلة انتفــاء الثــاني: قوله تعــالى:) ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب(.

ومن أدلة انتفــاء الثــالث: قوله تعــالى:) ليس كمثله شيء (.

وبهذا علم أنه لا يصح الاعتماد في ضــابط النفي على مجرد نفي التشبيه وذلك لوجهين:

الأول: أنه إن أريد بـالنفي نفي التشـابه المطلق - أي نفي التساوي من كل وجه بين الخالق والمخلـوق - فـإن هـــذا لغو من القـــول إذ لم يقل أحد بتســـاوي الخـــالق والمخلـوق من كل وجه بحيث يثبت لأحـدهما من الجـائز والممتنـع، والـواجب ما يثبت للآخـر، ولا يمكن أن يقوله عاقل يتصـور ما يقـول فإنه مما يعلم بضـرورة العقـل، وبداهة الحس انتفـــاؤه وإذا كـــان كـــذلك لم يكن لنفيه فائدة.

وإن أريد بـــــالنفي نفي مطلق التشـــــابه - أي نفي التشابه من بعض الوجوه - فهــذا النفي لا يصح إذ ما من شـيئين إلا وبينهما قـدر مشـترك يشـتركان فيـه، وقـدر مختص يتمـيز به كل واحد عن الآخر فيتشـابهان من وجه ويفترقان من وجه.

فالحياة " مثلاً " وصف مشترك بين الخالق والمخلـوق قال الله تعالى:) وتوكل على الحي الـذي لا يمـوت ([1]. وقال:) يخرج الحي من الميت ويخــرج الميت من الحي ([2].

لكن حياة الخالق تختص به فهي حيـاة كاملة من جميع الوجـوه لم تسـبق بعـدم ولا يلحقها فنـاء، بخلاف حيـاة المخلوق فإنها حياة ناقصة مسـبوقة بعـدم متلـوة بفنـاء قـال الله تعـالى:) كل من عليها فـان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ([1].

فالقدر المشترك " وهو مطلق الحيـاة " كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر، لكن ما يختص به كل واحد ويتميز به لم يقع فيه اشتراك وحينئذ لا محـذور من الاشـتراك في هــذا المعــنى الكلي، وإنما المحــذور أن يجعل أحــدهما مشاركاً للآخر فيما يختص به.

ثم إن إرادة ذلك ـ أعني نفي مطلق التشابه ـ تستلزم التعطيل المحض، لأنه إذا نفى عن الله تعــالى: صــــفة الوجـود " مثلاً " بحجة أن للمخلـوق صـفة وجـود فإثباتها للخالق يستلزم التشبيه على هذا التقدير، لزم على نفيه أن يكــون الخــالق معــدوماً، ثم يلزمه على هــذا اللازم الفاسد أن يقع في تشــــبيه آخر وهو تشـــبيه الخـــالق بالمعــدوم لاشــتراكهما في صــفة العــدم فيلزمه على قاعدته تشبيهه بالمعدوم فإن نفى عنه الوجـود والعـدم، وقع في تشبيه ثـالث أشد وهو تشـبيهه بالممتنعـات لأن الوجـــود والعـــدم نقيضـــان يمتنع انتفاؤهما كما يمتنع اجتماعهما.

فإن قال قائـل: إن الشـيء إذا شـارك غـيره من وجه جاز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على الآخر، وامتنع عليه ما يمتنع، ووجب له ما يجب؟

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 58.

[2] سورة الروم، الآية: 19.

[1] سورة الرحمن، الآيتان: 26، 27.

فالجواب من وجهين:

أحـدهما: المنع فيقـال : لا يلـزم من اشـتراك الخـالق والمخلوق في أصل الصفة أن يتمـاثلا فيما يجـوز ويمتنع ويجب، لأن مطلق المشاركة لا يستلزم المماثلة.

الثاني: التسليم فيقال : هب أن الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبــات ما يمتنع على الرب سبحانه، ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعـاً، فـإذا اشــتركا في صــفة الوجــود، والحيــاة والعلم، والقــدرة واختص كل موصـــوف بما يســـتحقه ويليق بــــه، كـــان اشتراكهما في ذلك أمراً ممكنـاً لا محـذور فيه أصـلاً، بل إثبـات هـذا من لـوازم الوجـود، فـإن كل موجـودين لابد بينهما من مثل هــذا، ومن نفــاه لزمه تعطيل وجــود كل موجــود، لأن نفي القــدر المشــترك يلــزم منه التعطيل العام.

وهذا الموضع من فهمه فهماً جيـداً وتـدبره زالت عنه عامة الشــبهات وانكشف له غلط كثــير من الأذكيــاء في هذا المقام.

فصل

الوجه الثـاني: مما يـدل على أنه لا يصح الاعتمـاد في ضابط النفي على مجرد نفي التشبيه: أن الناس اختلفوا في تفســير التشــبيه، فقد يفســره بعضــهم بما لا يــراه الآخرون تشبيهاً.

مثـــال ذلك مع المعتزلة ومن ســـلك طـــريقهم من النفـاة:أنهم جعلـوا من أثبت لله تعـالى: علمــاً قــديماً، أوقدرة قديمة مشبهاً ممثلاً،لأن القـدم أخص وصف الإله عند جمهورهم، فمن أثبت له علماً قديماً،أو قدرة قديمة فقد أثبت له مـــثيلاً.والمثبتـــون يجيبـــونهم بـــالمنع تارة،وبالتسليم تارة.

أما المنع فيقولــون: ليس القــدم أخص وصف الإلــه، وإنما أخص وصف الإله ما لا يتصف به غـيره، مثـل: كونه رب العــالمين، وأنه بكل شــيء عليم، وعلى كل شــيء قدير، وأنه الإله ونحو ذلك. والصفات وإن وصفت بالقدم

كما توصف به الذات لا يقتضي ذلك أن تكون إلهاً أو ربــاً أو نحو ذلك كما أن النبي مثلاً يوصف بالحــدوث، وتوصف صفاته بالحدوث، ولا يقتضي ذلك أن تكون صفاته نبياً.

وعلى هذا فلا يكون إثبات الصفات القديمة لله تعالى: تمثيلاً، ولا تشبيهاً.

وأما التســليم فيقولــون: نحن وإن ســلمنا أن هــذا المعنى قد يسمى في اصـطلاح بعض النـاس تشـبيهاً، أو تمثيلاً فإنه لم ينفه عقل، ولا سـمع وحينئذ فلا مـانع من إثباته.

فالقرآن إنما نفى مسمى المثل، والكفء، والند ونحو ذلك والصفة في لغة العرب التي نزل بها القــرآن ليست مثل الموصوف، ولا كفؤاً له، ولا نداً فلا تدخل فيما نفاه القرآن.

فــــالواجب نفي ما نفته الأدلة الشـــــرعية، والعقلية فقط.

مثـال آخـر: مع الأشـاعرة ونحـوهم ممن ينفي علـوه على عرشه ونحـوه دون صـفة الحيـاة، والعلم، والقـدرة ونحوها فيقــول: إن هــذه الصــفات قد تقــوم بما ليس بجسم بخلاف العلو فإنه لا يقــوم إلا بجسم فلو أثبتنـــاه لزم أن يكون جسماً، والأجسام متماثلة فيلزم التشبيه.

والمثبتون يجيبــونهم تــارة بمنع المقدمة الأولى وهي قـــولهم : " إن العلو لا يقـــوم إلا بجســـم" وتـــارة بمنع المقدمة الثانية وهي قــولهم : " إن الأجســام متماثلة " وتارة بمنع المقـدمتين، وتـارة بالاستفصـال. فيقولـون: إن أردتم بالجسم جسـماً مؤلفـاً من لحم وعظم وأجـزاء يفتقر بعضها إلى بعض، أو يحتاج إلى مقومـات خارجيـة، فهذا ممتنع بالنسبة إلى الله الغني الحميـد، وليس بلازم من إثبــات الصــفات. وإن أردتم بالجسم ما كــان قائمــاً بنفسه موصوفاً بالصفات اللائقة به، فهـذا حق ثـابت لله عز وجل ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة.

وإذا تــبين اختلاف النــاس في تفســير التشــبيه صــار الاعتمـــاد على مجـــرد نفيه بـــاطلاً، لأنه يلـــزم منه نفي

صـفات الكمـال عن الله تعـالى: عند من يـرى أن إثباتها يستلزم التشبيه.

وعلى هـــذا فالضـــابط الصـــحيح فيما ينفى عن الله تعالى: ما سبق في أول القاعدة.

فصل

فإذا تـبين أنه لا يصح الاعتمـاد في ضـابط النفي على مجرد نفي التشبيه وأنه طريق فاسد، فـإن أفسد منه ما يسـلكه بعض النـاس حيث يعتمـدون فيما ينفى عن الله تعالى: على نفي التجسيم والتحـيز ونحو ذلـك، فتجـدهم إذا أرادوا أن يحتجـــــوا على من وصف الله تعـــــالى: بالنقائص من الحزن، والبكاء، والمرض، والولادة ونحوها يقولون له : لو اتصف الله بذلك لكان جسماً، أو متحــيزاً، وهذا ممتنع هذه حجتهم عليه.

وهذه طريقة فاسدة لا يحصل بها المقصود لوجوه:

الأول: أن لفظ " الجسم " و " الجـوهر " و" التحــيز " ونحوها عبـارات مجملة مشـتبهة لا تحق حقـاً، ولا تبطل باطلاً، ولذلك لم تـذكر فيما وصف الله وسـمى به نفسه لا نفياً ولا إثباتاً، لا في كتـاب الله تعـالى:، ولا في سـنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يسلكه أحد من سلف الأمة وأئمتهـا، وإنما هي عبـارات مبتدعة أنكرها السـلف والأئمة.

الثـاني: أن وصف الله تعـالى: بهـذه النقـائص أظهر فساداً في العقل والدين من وصفه بـالتحيز والتجسـيم، فإن كفر من وصفه بهذه النقائص معلوم بالضـرورة من الدين، بخلاف التحـيز والتجسـيم لما فيهما من الاشـتباه والخفاء.

وإذا كـــان وصف الله تعـــالى: بهـــذه النقـــائص أظهر فســـاداً من وصـــفه بـــالحيز والجســـم، فإنه لا يصح الاســتدلال بــالأخفى على الأظهــر، لأن الــدليل مــبين للمدلول ومثبت له، فلابد أن يكون أبين وأظهر منه.

الثــالث: أن من وصــفوه بهــذه النقــائص يمكنهم أن يقولوا : نحن نصفه بـذلك ولا نقـول بالتجسـيم والتحـيز

كما يقوله من يثبت لله صـفات الكمـال مع نفي القـول بالتجسـيم والتحـيز فيكـون كلام من يصف الله بصـفات الكمال ومن يصـفه بصـفات النقص واحـداً، ويبقى الـرد عليهما بطريق واحد وهو أن الإثبـات مسـتلزم للتجسـيم والتحيز وهذا في غاية الفساد والبطلان.

الرابع: أن الذين اعتمدوا في ضـابط ما ينفى عن الله على نفي التجسيم والتحيز نفوا عن الله تعـالى: صـفات الكمال بهذه الطريقة.

واتصـاف الله تعـالى: بصـفات الكمـال واجب ثـابت بالسـمع، والعقل فيكـون كل ما اقتضى نفيه بـاطلاً بالسمع والعقل، وبه يتبين فساد تلك الطريقة وبطلانها.

الخـامس: أن سـالكي هـذه الطريقة متناقضـون فكل من أثبت شـيئاً ونفى غـيره ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من الإثبات، وكل من نفى شيئاً وأثبت غـيره ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من النفي.

مثـال ذلـك: أن من أثبتـوا لله تعـالى: الحيـاة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسـمع والبصـر، والكلام دون غيرها من الصفات قـال لهم نفـاة ذلك كالمعتزلة : إثبـات هـذه تجسيم لأن هذه الصـفات أعـراض، والعـرض لا يقـوم إلا بجسم.

فـيرد عليهم أولئك بـأنكم أنتم أثبتم أنه حي، عليم، قدير، وقلتم : ليس بجسم مع أنكم لا تعرفون حياً، عالماً قادراً إلا جسـماً فـأثبتموه على خلاف ما عـرفتم فكـذلك نحن نثبت هـذه الصـفات ولا نقـول : إنه جسم فهـذا تنـاقض المعتزلـة، أما تنـاقض خصـومهم الـذين أثبتـوا الصفات السبع السابقة دون غيرها فقد قالوا لمن أثبت صفة الرضا، والغضـب، ونحوهـا: إثبـات الرضا والغضـب، والاسـتواء، والـنزول، والوجـه، واليـدين ونحوها تجسـيم لأننا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم.

فـيرد عليهم المثبتة بـأنكم أنتم وصـفتموه بالحيـاة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام ولا يعـرف ما يوصف بـذلك إلا ما هو جسـم، فـإن لزمنا التجسـيم فيما أثبتنـاه لـزمكم فيما أثبتمـوه، وإن لم

يلـــزمكم فيما أثبتمـــوه لم يلزمنا فيما أثبتنـــاه وإن ألزمتمونا به، لأنه لا فرق بين الأمرين وتفـريقكم بينهما تناقض منكم.

فصل

وأما الضابط في باب الإثبات فأن نثبت لله تعـالى: ما أثبته لنفسه من صــفات الكمــال على وجه لا نقص فيه بأي حال من الأحـوال لقوله تعـالى:) ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم(⁽¹⁾. والمثل الأعلى هو الوصف الأكمل الذي لا يماثله شيء.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم يقـــول المفـــتري لمن نفى ذلك وأثبت الفـــرح، والضـحك، والكلام، والوجـه، واليـدين :أي فـرق بين ما نفيت وما أثبت، إذا جعلت مجرد نفي التشبيه كافيـاً في الإثبـات فأنا لم أخـرج عن هـذا الضـابط فـإني أثبت ذلك بدون تشبيه.

فـإن قـال النـافي: الفـرق هو السـمع (أي الـدليل من الكتاب والسنة) فما جاء به الـدليل أثبته وما لم يجىء به لم أثبته.

[illegible]

---

(1) سورة النحل، الآية: 60.

[illegible]

في القدر والشرع [1]

القدر تقدير الله تعالى: لما كان وما يكون أزلاً وأبداً.

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمـان السـتة الـتي بينها رسول الله [illegible]

وللإيمان بالقدر مراتب أربع:

المرتبة الأولى: الإيمـان بـأن الله تعـالى: قد علم بعلمه الأزلي الأبـدي ما كـان وما يكـون من صـغير، وكبـير، وظـاهر، وبـاطن مما يكـون من أفعالـه، أو أفعـال مخلوقاته.

[illegible]

---

(1) سبق الكلام على الأصل الأول " الصفات ".

[illegible]

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشـيئة الله تعـالى:، وأنها عامة في كل شــيء، فما وجد موجــود، ولا عــدم معــدوم من صغير، وكبير، وظاهر، وبـاطن في السـموات والأرض إلا بمشيئة الله عز وجل سواء كان ذلك من فعله تعالى:، أم من فعل مخلوقاته.

المرتبة الرابعة:الإيمان بخلق الله تعـالى: وأنه خـالق كل شيء من صغير وكبير،وظاهر وبـاطن، وأن خلقه شـامل لأعيـان هـذه المخلوقـات وصـفاتها، وما يصـدر عنها من أقوال وأفعال وآثار.

[illegible] **تعالى:** [illegible]

---

(2) سورة الحج، الآية 70.

(3) سورة الأنعام، الآية:59.

(1) سورة الزمر، الآيتان :62، 63.

(2) سورة الفرقان ، الآية :2.

(3) سورة الصافات، الآية: 96.

(4) سورة إبراهيم: الآية: 27.

(5) سورة الرعد، الآية: 26.

(6) سورة التكوير، الآيتان 28:، 29.

[illegible] [7].

والقـدر لا ينـافي الأسـباب القدريـة، أو الشـرعية الـتي جعلها الله تعـالى: أسـباباً، فـإن الأسـباب من قـدر الله تعـالى:، وربط المسـببات بأسـبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أجل صفات الله عز وجل، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

[illegible] [8].

[illegible] [1]. [illegible]

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

فـالطرف الأول: نفـاة أنكـروا تـأثير الأسـباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عنـدها، لا بهـا، حـتى قـالوا :إن انكسـار الزجاجة بـالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة، لا بها. وهـؤلاء خـالفوا السـمع، وكـابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالى: في ربط المسببات بأسبابها.

[illegible] [3]. [illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(7) سورة البقرة، الآية: 253.

(8) سورة الروم، الآيات: 48-50.

(1) سورة المائدة، الآيتان: 15، 16.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 69.

[illegible]

1. 1. أن تارك الواجب، وفاعل المحرم يقـدم على ذلك باختياره لا يشعر أن أحـداً أكرهه عليـه، ولا يعلم أن ذلك مقدر، لأن القدر سر مكتـوم فلا يعلم أحد أن شـيئاً ما قدره الله تعالى: إلا بعد وقوعـه، فكيف يصح أن يحتج بحجة لا يعلمها قبل إقدامه على ما اعتذر بها عنه؟!

---

(3) سورة آل عمران، الآية: 152.

(4) سورة القلم، الآية: 25.

(5) سورة النساء، الآية: 66.

(6) سورة فصلت، الآية 46.

(1) سورة التكوير، الآيتان: 28، 29.

(2) سورة الأنعام، الآية: 148.

(3) سورة الأنعام، الآية: 148

(4) سورة النساء، الآية 165:.

(5) سورة الليل، الآيات: 5-10.

ولماذا لم يقدر أن الله تعالى: كتبه من أهل السـعادة، فيعمل بعملهم، دون أن يقـــــــدر أن الله كتبه من أهل الشقاوة، ويعمل بعملهم؟!

2. **أن إقحـام النفس في مـآثم تـرك الـواجب، وفعل المحـــرم ظلم لها وعـــدوان عليها كما قـــال الله تعــالى: عن المكـــذبين للرســـل:) وما ظلمنـــاهم ولكن ظلمـوا أنفسـهم ([1]. ولو أن أحـداً ظلم المحتج بالقـدر على مخالفته، ثم قال له: ظلمي إيـاك كـان بقـدر اللـه. لم يقبل منه هـــذه الحجـــة، فكيف لا يقبل هـــذه الحجة بظلم غيره له، ثم يحتج بها بظلمه هو لنفسه؟!.**

3. **أن هذا المحتج لو خير في السفر بين بلـدين أحدهما: بلد آمن مطمئن فيه أنواع المآكل، والمشـارب، والتنعم، والثـاني: بلد خـائف قلـق، فيه أنـواع البـؤس، والشـــقاء، لاختـــار الســـفر إلى البلد الأول ولا يمكن أن يختار الثـاني محتجـاً بالقـدر، فلمـاذا يختـار الأفضل في مقر الدنيا، ولا يختاره في مقر الآخرة؟!**

فإن قال قائل: ما الجـواب عن قوله تعـالى: لرسـوله
[illegible]) [illegible] ([2]. [illegible] !.

[illegible]

[illegible] " [illegible] ". [illegible]

قيل له : الجواب من وجهين:
[illegible]

---

[1] سورة هود، الآية: 101

[2] سورة الأنعام، الآيتان: 106-107.

[illegible]

ونظير هذا أن يسافر شخص فيصـاب بحـادث في سـفره فيقال له: لماذا تسافر؟ فيقول : هذا أمر مقدر والمقدر لا مفر منــه، فإنه لا يحتج هنا بالقــدر على الســفر لأنه يعلم أنه لا مكره له وأنه لم يسافر ليصيبه الحادث، وإنما يحتج بالقــدر على المصــيبة الــتي ارتبطت به وهــذا هو الوجه الذي اختاره الشيخ المؤلف في هذه العقيدة.

[illegible] [1] [illegible] [2]

[illegible] [3] [illegible]

[illegible]

لابد للإنســـان من الإيمـــان بالقـــدر لأنه أحد أركـــان الإيمـان السـتة، ولأنه من تمـام توحيد الربوبيـة، ولأن به تحقيق التوكل على الله تعـالى: وتفـويض الأمر إليه مع

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 148.

(2) سورة الزخرف، الآية: 20.

(3) ما بين القوسين مني.

القيـام بالأسـباب الصـحيحة النافعـة، ولأن به اطمئنـان الإنســـــان في حياته حيث يعلم أن ما أصـــــابه لم يكن ليخطئـــه، وما أخطـــأه لم يكن ليصـــيبه، ولأن به ينتفي الإعجـــاب بـــالنفس عند حصـــول المـــراد، لأنه يعلم أن حصوله بقدر اللـه، وأن عمله الـذي حصل به مـراده ليس إلا مجــرد ســبب يســره الله لــه، ولأن به يــزول القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصـول المكـروه لأنه يعلم أن الأمر كله لله فيرضي ويسـلم. وإلى هـذين الأمـرين يشير قوله تعالى:) ما أصـاب من مصـيبة في الأرض ولا في أنفســـكم إلا في كتـــاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسـوا على ما فـاتكم ولا تفرحـوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ([1].

ولابد للإنسان أيضاً من الإيمان بالشرع وهو ما جــاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أمر الله ونهيه، وما يترتب عليهما من الجزاء ثواباً أو عقاباً فيقوم بما يلزمه نحو الأمر والنهي، ويؤمن بما يترتب عليهما من الجزاء.

وذلك لأن الإنسـان مريد فلابد له من فعل يـدرك به ما يريــد، ويــدفع به مــالا يريــد، ولابد له من ضــابط يضــبط تصرفه لئلا يقع فيما يضــره، أو يفوته ما ينفعه من حيث لا يشعر، والشرع الإلهي الذي جاءت به الرسل هو الــذي يضــبط ذلــك، ويصـدر الحكم بــه، ويكـون به التميـيز بين النـــافع والضـــار والصـــالح والفاســـد، لأنه من عند الله العليم، الرحيم، الحكيم.

والعقول وإن كانت تدرك النافع، والضار في الجملــة، لكن تفصيل ذلك والإحاطة به إحاطة تامة إنما يكــون من جهة الشــرع.ولهـذا نقـول: النفـع، أو الضـرر قد يكـون معلوماً بالفطرة، وقد يكون معلومـاً بالعقـل، وقد يكـون معلوماً بالتجارب، وقد يكون معلوماً بالشرع.

فالشرع يأتي مؤيداً لما شـهدت به الفطـرة، والعقـل، والتجارب وهذه تأتي شاهدة لما جاء به الشرع.

وفي هـــذا المقـــام اختلف النـــاس في الأعمـــال هل يعرف حسنها وقبحها بالشرع، أو بالعقل؟.

---

[1] سورة الحديد، الآية: 22-23.

والتحقيق: أن ذلك يعرف تارة بالشرع، وتارة بالعقل، وتارة بهما، لكن علم ذلك على وجه الشمول، والتفصيل، وعلم غايات الأعمال في الآخرة من سعادة، وشقاء ونحو ذلك لا يعلم إلا بالشرع.

فصل

إذا تبين أنه لابد للإنسان من الإيمان بالقدر، والإيمان بالشرع فاعلم أن الناس انقسموا في ذلك إلى قسمين:

القسم الأول: أهل الهدى، والفلاح الذين آمنوا بقضاء الله وقدره على ما سبق بيانه من المراتب الأربع، وآمنوا أيضاً بشرعه فقاموا بأمره ونهيه وآمنوا بما ترتب على ذلك من جزاء، ولم يحتجوا بقدره على شرعه، أو بشرعه على قدره ولم يجعلوا ذلك تناقضاً من الخالق، وهؤلاء هم أهل الحق الذين حققوا مقام ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [1]. المؤمنون بمقتضى قوله تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [2].

القسم الثاني: أهل الضلال، والهلاك المخالفون للجماعة وهم ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

فالمجوسية هم: القدرية الذين آمنوا بشرع الله، وكذبوا بقدره، فغلاتهم أنكروا عموم علم الله تعالى: وقالوا: إن الله تعالى: لم يقدر أعمال العباد ولا علم له بها قبل وقوعها، ومقتصدوهم آمنوا بعلم الله بها قبل وقوعها وأنكروا أن تكون واقعة بقدر الله تعالى: وأن تكون مخلوقة له.

وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم. ومذهبهم باطل بما سبق في أدلة مراتب القدر.

والمشركية هم:الذين أقروا بقدر الله واحتجوا به على شرعه كما قال الله تعالى: عنهم:﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ [3].

---

[1] سورة الفاتحة، الآية: 5.

[2] سورة الأعراف، الآية: 54.

[3] سورة الأنعام، الآية: 148.

والإبليسية هم: الذين أقروا بالأمرين بالقدر، وبالشرع لكن جعلوا ذلك تناقضاً من الله عز وجل، وطعنوا في حكمته تعالى:، وقالوا: كيف يأمر العباد وينهاهم، وقد قدر عليهم ما قدر مما قد يكون مخالفاً لما أمرهم به ونهاهم عنه فهل هذا إلا التناقض المحض والتصرف المنافي للحكمة؟

وهؤلاء أتباع إبليس فقد احتج على الله عز وجل حين أمره أن يسجد لآدم فقال إبليس:) أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ([4].

والرد على هاتين الفرقتين معلوم من الرد على المحتجين بالقدر على معصية الله تعالى:.

فصل

وأما الشرع فهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله تعالى: التي من أجلها خلق الله الجن والإنس لقوله تعالى:) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ([1]. وذلك هو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه لقوله تعالى:) ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ([2].

فالإسلام هو الاستسلام لله وحده بالطاعة فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور في كل زمان ومكان كانت الشريعة فيه قائمة ، وهذا هو الإسلام بالمعنى العام . وعلى هذا يكون أصحاب الملل السابقة مسلمين حين كانت شرائعهم قائمة لم تنسخ كما قال الله تعالى: عن نوح وهو يخاطب قومه :) فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين([3].

وقال عن إبراهيم:) ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين([4]وقال أيضاً:) إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب

([4] سورة الأعراف، الآية: 12.

([1] سورة الذاريات، الآية: 56.

([2] سورة آل عمران، الآية: 85.

([3] سورة يونس، الآية: 72.

([4] سورة آل عمران، الآية: 67.

العـالمين . ووصى بها إبـراهيم بنيه ويعقـوب يا بـني إن الله اصطفى لكم الـدين فلا تمـوتن إلا وأنتم مسـلمون ([(5)].

وقــال عن موسى في مخاطبته قومــه:) يا قــوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلـــوا إن كنتم مســـلمين([(6)]. وقـال عن التـوارة:) إنا أنزلنا التـوارة فيها هـدى ونـور يحكم بها النبيون الذين أسـلموا للـذين هـادوا ([(7)].وقـال عن الحواريين أتباع عيسى:) وإذ أوحيت إلى الحــواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسـلمون ([(8)].وقــــــال عن ملكة ســــبأ:) رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين([(9)].

وأما الإسلام بـالمعنى الخـاص فيختص بشـريعة محمد صـلى الله عليه وسـلم قـال الله تعـالى:)قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي وممـاتي لله رب العـالمين لاشـريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسـلمين([(10)]. وقـال في أمتـه:) هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسـول شــهيداً عليكم ([(1)].فلا إســلام بعد بعثته إلا باتباعــه، لأن دينه مهيمن على الأديــان كلها ظــاهر عليهــا، وشــريعته ناسخة للشرائع السابقة كلها قـال الله تعـالى:) وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جـاءكم رســول مصــدق لما معكم لتــؤمنن به ولتنصــرنه قــال أأقــررتم وأخــذتم على ذلكم إصــري قــالوا أقررنا قــال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين([(2)].

والذي جاء مصدقاً لما مع الرسل قبله هو محمد صـلى الله عليه وسـلم كما قـال تعـالى:) وأنزلنا إليك الكتـاب

([5] سورة البقرة، الآيتان: 131، 132.

([6] سورة يونس، الآية: 84.

([7] سورة المائدة، الآية: 44.

([8] سورة المائدة، الآية: 111.

([9] سورة النمل، الآية: 44.

([10] سورة الأنعام،الآيتان: 162، 163.

([1] سورة الحج، الآية: 78.

([2] سورة آل عمران، الآية: 81.

بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتـاب ومهيمنـاً عليه ([3] **وقال تعالى:) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الـدين كله (** [4]**. وهـذا يعم الظهـور قـدراً وشرعاً.**

فمن بلغته رسـالة النـبي صـلى الله عليه وسـلم فلم يـؤمن به ويتبعه لم يكن مؤمنـاً ولا مسـلماً بل هو كـافر من أهل النـار لقـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هـذه الأمة - يعـني أمة الـدعوة - يهـودي ولا نصـراني ثم يمـوت ولم يـؤمن بالـذي أرسـلت به إلا كـان من أهل النـار". أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبهـذا يعلم أن الـنزاع فيمن سـبق من الأمم هل هم مسـلمون أو غـير مسـلمين؟ نـزاع لفظي، وذلك لأن الإسلام بالمعنى العام يتناول كل شريعة قائمة بعث الله بها نبياً فيشمل إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ما دامت شـريعته قائمة غـير منسـوخة بالاتفـاق كما دلت على ذلك النصـوص السـابقة، وأما بعد بعثة النـبي محمد صـلى الله عليه وسـلم فـإن الإسـلام يختص بما جـاء به فمن لم يؤمن به ويتبعه فليس بمسـلم.ومن زعم أن مع دين محمد صـلى الله عليه وسـلم دينـاً سـواه قائمـاً مقبـولاً عند الله تعـالى: من دين اليهـود،أو النصـارى،أو غيرهما فهو مكذب لقول الله تعـالى:)إن الـدين عند الله الإسـلام([5]**. وقولـه:) ومن يبتغ غـير الإسـلام دينـاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (** [6]**.**

وإذا كـان الإسـلام اتبـاع الشـريعة القائمـة، فإنه إذا نسخ شـيء منها لم يكن المنسـوخ دينـاً بعد نسـخه ولا اتباعه إسلاماً.

فاستقبال بيت المقدس مثلاً كـان دينـاً وإسـلاماً قبل نسخه، ولم يكن ديناً ولا إسلاماً بعده. وزيـارة القبـور لم

([3] سورة المائدة، الآية: 48.

([4]سورة التوبة، الآية: 33.

([5] سورة آل عمران، الآية: 19.

([6] سورة آل عمران، الآية: 85.

تكن ديناً ولا إسلاماً حين النهي عنها وكانت ديناً وإسلاماً بعد الأمر بها.

فصل

مبــنى الإســلام على توحيد الله عز وجل قــال الله تعــالى:) قل إنما يــوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مســــلمون ([1]. ولابد في التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات، لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فلا توحيد إلا بنفي وإثبات.

وقد قســمه العلمــاء بــالتتبع والاســتقراء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمع الله هــذه الأقســام في قوله تعــالى:) رب الســموات والأرض وما بينهما فاعبــده واصــطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ([2].

فأما توحيد الربوبية: فهو إفــراد الله تعــالى: بــالخلق، والملــك، والتــدبير. ومن أدلته قوله تعـالى:)ألا له الخلق والأمر تبــارك الله رب العــالمين([3].وقولــه:) ولله ملك السموات والأرض ([4]. وقولـه:)قل ادعـوا الـذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له([5].

وهـذا قد أقر به المشـركون الـذين بعث فيهم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كما قـال الله تعـالى:) ولئن

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 108.

[2] سورة مريم، الآية: 65.

[3] سورة الأعراف، الآية: 54.

[4] سورة آل عمران، الآية: 189.

[5] سورة سبأ، الآيتان، 22، 23.

سألتهم من خلقهم ليقولن الله ([6].) ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ([7]. وقـال تعـالى:) قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السـمع والأبصـار ومن يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ([8] وقال تعـالى:) قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـون سـيقولون لله (، إلى قوله:) بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ([9].

ولم يكن أحد من هـؤلاء المشـركين ولا غـيرهم ممن يقر بالخالق يعتقد أن أحداً من الخلق شارك الله تعـالى: في خلق السـموات والأرض، أو غيرهمـا، ولا أن للعـالم صـانعين متكـافئين في الصـفات والأفعـال، ولم ينقل أرباب المقالات الذين جمعوا ما قيل في الملل والنحـل، والآراء والديانات عن أحد من الناس أنه قال بذلك.

وغاية ما نقلوا قول الثنوية القائلين بالأصلين: النـور، والظلمة، وأن النـور خلق الخـير، والظلمة خلقت الشـر، لكنهم لا يقولـون بتسـاويهما وتكافئهما فـالنور مضـيء موافق للفطرة، بخلاف الظلمة.

والنور قديم، ولهم في الظلمة قولان:

أحدهما: أنها محدثة مخلوقة للنور، فيكون النور أكمل منها.

الثاني: أنها قديمة لكنها لا تخلق إلا الشر.

فصارت الظلمة ناقصة عن النـور في مفعولاتهـا، كما أنها ناقصة عنه في وجودها وصفاتها. وأما قول فرعون لقومه حين جمعهم فنادى:) أنا ربكم الأعلى ([1].

وقولـه:) يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غـيري ([2]. فمكابرة لم يصدر عن عقيدة، بل كـان يعتقد في قـرارة

---

(6) سورة الزخرف، الآية: 87.

(7) سورة لقمان، الآية: 25.

(8) سورة يونس، الآية: 31.

(9) سورة المؤمنون، الآيات: 84-90.

(1) سورة النازعات،الآية:24.

(2) سورة القصص، الآية: 38.

نفسه أن الله هو رب السموات والأرض ولهـذا لم يكـذب موسى حين قال لـه:) لقد علمت ما أنـزل هـؤلاء إلا رب الســـموات والأرض بصــــائر وإني لأظنك يا فرعــــون مثبـوراً([3]. واقـرأ قوله تعـالى: عن فرعـون وقومـه:) وجحـدوا بها واسـتيقنتها أنفسـهم ظلمـاً وعلـوًّا فـانظر كيف كان عاقبة المفسدين([4].

وأما قــول من قــال من النــاس : إن بعض الحــوادث مخلوقة لغـير الله كالقدرية الـذين يقولـون : إن العبـاد خلقوا أفعالهم، فإنهم يقرون بأن العباد مخلوقون والله تعالى: هو خالقهم وخالق قدرتهم.

وكذلك أهل الفلسفة، والطبع، والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمـور يعتقـدون أن هـذه الفاعلات مخلوقة حادثة.

وبهــذا يتقــرر أنه لم يكن أحد من النــاس يــدعي أن للعالم صانعين متكافئين.

فصل

وأما توحيد الألوهية فهـو: إفـراد الله تعـالى: بالعبـادة بــأن يعبد وحـده ولا يعبد غـيره من ملــك، أو رسـول، أو نبي، أو ولي، أو شـجر، أو حجـر، أو شـمس، أو قمـر، أو غير ذلك كائناً ما كان.

ومن أدلته قوله تعـالى:) واعبـدوا الله ولا تشـركوا به شيئاً ([1].

و قوله:) وما أرسـلنا من قبلك من رسـول إلا نـوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ([2]. و وقوله:) وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم([3]. وقوله:) شهد الله

---

(3) سورة الإسراء، الآية: 102.

(4) سورة النمل، الآية: 14.

(1) سورة النساء، الآية: 36.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 25.

(3) سورة البقرة، الآية: 163.

أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمـــاً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم([4].

وهـذا النــوع قد أنكــره المشــركون الــذين بعث فيهم رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كما قـال الله تعـالى: عنهم:) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يسـتكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشـاعر مجنـون ([5]. وقـال تعالى:) وعجبوا أن جاءهم منـذر منهم وقـال الكـافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشــيء عجـــاب . وانطلق الملأ منهم أن امشـــوا واصـــبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ([6].

ومن أجل إنكارهم إياه قـاتلهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم واسـتباح دمـاءهم وأمـوالهم، وسـبى نسـائهم وذريـاتهم بـإذن الله تعـالى: وأمـره، ولم يكن إقـرارهم بتوحيد الربوبية مخرجـــاُ لهم عن الشـــرك، ولا عاصـــماً لدمائهم وأموالهم.

وتحقيق هــذا النــوع أن يعبد الله وحــده لا شــريك له بشرعه الذي جاءت به رسله كما قـال الله تعـالى:) فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ([7]. فمن لم يعبد الله تعالى: فهو مستكبر غير موحـد، ومن عبـده وعبد غـيره فهو مشـرك غـير موحـد، ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد حيث جعل لله تعالى: شريكاً في التشريع.

والعبادة تطلق على معنيين:

أحدهما: التعبد وهو فعل العابد فتكون بمعـنى التـذلل للمعبود حباً وتعظيماً وهـذان ــ أعـني الحب والتعظيم ــ أساس العبادة فبالحب يكون طلب الوصـول إلى مرضـاة المعبـود بفعل ما أمر بـه، وبـالتعظيم يكـون الهـرب من أسباب غضبه بترك ما نهى عنه.

([4] سورة آل عمران، الآية: 18.

([5] سورة الصافات، الآيتان: 35-36.

([6] سورة ص، الآيات: 4-6.

([7] سورة الكهف، الآية: 110.

الثاني: المتعبد به فتكون اسماً جامعاً لكل ما يتعبد به لله تعالى: كالطهارة، والصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك من أنواع العبادة.

وللعبادة شرطان:

أحدهما: الإخلاص لله عز وجل بأن لا يريد بها سوى وجه الله والوصول إلى دار كرامته، وهذا من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يتعبد لله تعالى: بغير ما شرعه، وهذا من تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله.

فالمشرك في العبادة لا تقبل عبادته، ولا تصح لفقد الشرط الأول.

والمبتدع فيها لا تقبل، ولا تصح لفقد الشرط الثاني.

وقد دل على هذين الشرطين كتاب الله تعالى:، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمن أدلة اشتراط الإخلاص من كتاب الله قوله تعالى:) فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص([1]. وقوله:) وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ([2]. وقوله:)ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ([3]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه". هذا أحد ألفاظ البخاري.

([1]) سورة الزمر، الآيتان: 2-3.

([2]) سورة البينة، الآية: 5.

([3]) سورة الأنعام، الآية: 88.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تبارك وتعالى: : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه".

ومن أدلة اشتراط المتابعة لرسول الله من كتاب الله تعالى: قوله تعالى:) وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ([4]. وقوله:) ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ([5].

وقوله في وصف النبي صلى الله عليه وسلم:) فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون([1].إلى غيرذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". أي مردود. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا خطب الناس يوم الجمعة: " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة". رواه أحمد وأبو داود.

ولا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها.

والعبادة أنواع كثيرة:

([4] سورة الأنعام، الآية: 153.

([5] سورة آل عمران، الآية: 85.

([1] سورة الأعراف، الآية: 157.

فمنها الصـــلاة، والـــذبح لقوله تعـــالى:) فصل لربك وانحر ([2].

وقوله:) قل إن صلاتي ونسـكي ومحيـاي وممـاتي لله رب العـــالمين . لا شـــريك له وبـــذلك أمـــرت وأنا أول المسلمين ([3].

فمن صلى لغـير الله فهو مشـرك، ومن ذبح لغـير الله تقرباً وتعظيماً فهو مشرك.

ومنها التوكل لقوله تعـــالى:)وعلى الله فتوكلـــوا إن كنتم مؤمنين ([4].وقوله:) فاعبـده وتوكل عليه([5]. ولهـذا لما كان التوكل خاصاً به كان وحده هو الحسب كما قــال تعــالى:)ومن يتوكل على الله فهو حســبه إن الله بـــالغ أمره([6].فأما قوله تعـالى:)يا أيها النـبي حسـبك الله وما اتبعك من المؤمنين([7].فمعناه أن الله هو حسبك وحسب من اتبعك من المؤمــنين فقولــه:)من اتبعك(. معطــوف على الكاف في قولـه:) حسـبك (وليس معطوفـاً على) الله (كما ظنه بعض الغالطين، فإن هذا يفسد به المعنى إذ يكـون المعـنى على هـذا التقـدير: أن الله والمؤمـنين حسب النــبي صــلى الله عليه وســلم وهــذا باطل فــإن مقـام النــبي صــلى الله عليه وســلم أعلى وأقــوى من مقــــام من اتبعه فكيف يكــــون الأدنى حســــباً للأعلى والأقوى.

ومنها الخشية، والخوف تعبـداً وتقربـاً لقوله تعـالى:) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخـافون إن كنتم مؤمنين ([1].

---

[2] سورة الكوثر، الآية: 2.

[3] سورة الأنعام، الآيتان: 162، 163.

[4] سورة المائدة، الآية: 23.

[5] سورة هود، الآية: 123.

[6] سورة الطلاق، الآية: 3.

[7] سورة الأنفال، الآية: 64.

[1] سورة آل عمران، الآية: 175.

وقولـه:) فلا تخشـوا النـاس واخشـون ([2]. وقوله :) فإيــاي فــارهبون ([3]. فجعل الرهبة له وحــده كما جعل العبادة له وحده في قوله:) فإياي فاعبدون ([4].

ومنها التقــوى تعبـداً وتقربــاً لقوله تعـالى:) وإيــاي فاتقون ([5].

وقوله:) أفغير الله تتقون ([6]. وقوله:) يا أيها الـذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصـلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ([7].

فصل

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو إفـراد الله تعـالى: بأســمائه وصــفاته وذلك بإثبــات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكـييف، ولا تمثيل.

فلا يجــوز نفي شــيء مما ســمى الله به نفســه، أو وصف به نفسه لقوله تعــالى:) ولله الأســماء الحســنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كــانوا يعملــون ([1]. ولأن ذلك تعطيل يســتلزم تحريف النصــوص أو تكــذيبها مع وصف الله تعــالى: بالنقــائص والعيوب.

ولا يجوز تسمية الله تعالى:، أو وصفه بما لم يأت في الكتـاب والسـنة لأن ذلك قـول على الله تعـالى: بلا علم وقد قال الله تعالى: :) قل إنما حـرم ربي الفـواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغـــــــــير الحق وأن

([2] سورة المائدة، الآية: 44.

([3] سورة النحل، الآية: 51.

([4] سورة العنكبوت، الآية: 56.

([5] سورة البقرة، الآية: 41.

([6] سورة النحل، الآية: 52.

([7] سورة الأحزاب،الآيتان: 70، 71.

([1] سورة الأعراف، الآية: 180.

تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مــالا تعلمــون([2]**. وقــال:) ولا تقف ما ليس به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً (** [3]**.**

ولا يجـوز إثبـات اسم أو صـفة لله تعـالى: مع التمثيل لقوله تعالى:) ليس كمثله شـيء وهو السـميع البصـير ([4]**. وقوله) فلا تضربوا لله الأمثــال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمــون (** [5]**. ولأن ذلك إشــراك بالله تعــالى: يســتلزم تحريف النصـــوص، أو تكـــذيبها مع تنقص الله تعـــالى: بتمثيله بالمخلوق الناقص.**

ولا يجوز إثبات اسم، أو صفة لله تعـالى: مع التكـييف لأن ذلك قـــول على الله تعـــالى: بلا علم، يســــتلزم الفوضـى، والتخبط في صـفات الله تعـالى:، إذ كل واحد يتخيل كيفية معينة غير ما تخيله الآخر، ولأن ذلك محاولة لإدراك مالا يمكن إدراكه بالعقول، فإنك مهما قـدرت من كيفية فالله أعلى وأعظم.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي كـثر فيه الخـوض بين أهل القبلة فانقســموا في النصــوص الــواردة فيه إلى ستة أقسام:

القسم الأول: من أجروها على ظاهرها اللائق بالله تعــالى: من غــير تحريــف، ولا تعطيــل، ولا تكــييف، ولا تمثيل.

وهـؤلاء هم السـلف وهـذا هو الصـواب المقطـوع به لدلالة الكتاب، والسنة، والعقـل، والإجمـاع السـابق عليه دلالة قطعية أو ظنية.

القسم الثاني: من أجروها على ظاهرها، لكن جعلوها من جنس صفات المخلوقين.

وهؤلاء هم الممثلة، ومذهبهم باطل بالكتـاب، والسـنة والعقل، وإنكار السلف.

---

[2] سورة الأعراف، الآية: 33.

[3] سورة الإسراء، الآية: 36.

[4] سورة الشورى، الآية: 11.

[5] سورة النحل، الآية: 74.

القسم الثـــالث: من أجروها على خلاف ظاهرهـــا، وعينوا لها معاني بعقولهم، وحرفوا من أجلها النصوص.

وهــؤلاء هم أهل التعطيل فمنهم من عطل تعطيلاً كبــيراً كالجهمية والمعتزلة ونحــوهم، ومنهم من عطل دون ذلك كالأشاعرة.

القسم الرابــع: من قــالوا: الله أعلم بما أراد بهــا، وفوضوا علم معانيها إلى الله وحده.

وهؤلاء هم أهل التجهيل المفوضة، وتناقض بعضهم فقــال: الله أعلم بما أراد، لكنه لم يــرد إثبــات صــفة خارجية له تعالى:.

القسم الخامس: من قالوا: يجوز أن يكون المراد بهذه النصوص إثبات صفة تليق بالله تعالى: وأن لا يكون المراد ذلك.

وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم.

القسم الســادس: من أعرضــوا بقلــوبهم وأمســكوا بألسنتهم عن هذا كله واقتصروا على قراءة النصوص ولم يقولوا فيها بشيء [1].

وهذه الأقسام سوى الأول باطلة كما قد تبين في غير هذا الموضع.

فصل

وبهــذا التقرير عن أقســام التوحيد يتــبين غلط عامة المتكلمين في مسمى التوحيد حيث جعلوه ثلاثة أنواع:

الأول: أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، أولا جزء له، أولا بعض له.

الثاني: أنه واحد في صفاته لا شبيه له.

الثالث: أنه واحد في أفعاله لا شريك له.

وبيان غلطهم من وجوه:

---

(1) ذكر هذه الأقسام في الفتوى الحموية.

أحـــدها: أنهم لم يـــدخلوا فيه توحيد الألوهية وهو أن الله تعالى: واحد في ألوهيته لا شـريك له فيفـرد وحـده بالعبادة، مع أن هذا النـوع من التوحيد هو الـذي من أجله خلق الجن والإنس لقوله تعـــــــالى:) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ([1].

ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لقوله تعالى:) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ([2].

وقوله:) ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطـاغوت ([3]. وقد قـام الرسل عليهم الصـلاة والسلام بذلك يدعون قومهم) أن أعبدوا الله مــالكم من إله غيره([4]. أي مالكم من معبـود حق غـير اللـه، فجميع الآلهة سـواه باطلة كما قـال تعـالى:) ذلك بـأن الله هو الحق وأن ما يـــــدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ([5].

ومن أجله قـــامت المعـــارك الكلاميـــة، والقتالية بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم كما قال الله تعالى: عن قوم نوح:) قالوا يا نوح قد جادلتنا فـأكثرت جـدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين([6]. وقال عن قوم هود:) قـالوا يا هـود ما جئتنا ببينة وما نحن بتـاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقـول إلا اعـتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بـــريء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعـاً ثم لا تنظـرون ([7]. وقال في إبراهيم وقومه:) قال أفتعبـدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبــدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصـروا آلهتكم إن

---

[1] سورة الذاريات، الآية: 56.

[2] سورة الأنبياء: الآية: 25.

[3] سورة النحل، الآية: 36.

[4] سورة المؤمنون، الآية: 32.

[5] سورة الحج، الآية: 62.

[6] سورة هود، الآية: 32.

[7] سورة هود، الآيتان: 53-55.

كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبـراهيم ([1]. وقال عن المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسـلم:) وإذا رآك الذين كفـروا إن يتخـذونك إلا هـزواً أهـذا الـذي يذكر آلهتكم ([2]. وقال:) وعجبوا أن جـاءهم منـذر منهم وقـال الكـافرون هـذا سـاحر كـذاب . أجعل الآلهة إلهـاً واحـداً إن هـذا لشـيء عجـاب . وانطلق الملأ منهم أن امشـوا واصـبروا على آلهتكم إن هـذا لشـيء يـراد([3]. وقـال في أعدائـه:) إن يثقفـوكم يكونـوا لكم أعـداء ويبسـطوا إليكم أيـديهم وألسـنتهم بالسـوء وودوا لو تكفرون ([4].

والمهم أن هذا التوحيد الذي هذا شأنه قد أغفله عامة المتكلمين الـذين يتكلمـون في أنـواع التوحيـد، وهو أحد وجوه غلطهم في مسمى التوحيد.

الوجه الثـاني: قـولهم: " إن الله واحد في ذاته لا قسيم له.. " إلخ فيه إجمال:

فإن أرادوا به أن الله تعالى: لا يتجزأ، ولا يتفـرق، ولا يكون مركباً من أجزاء فهذا حـق، فـإن الله تعـالى: أحـد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وإن أرادوا به مع ذلك نفي ما وصف به نفسه كعلـوه، واستوائه على عرشـه، ووجهـه، ويديه ونحو ذلك - وهـذا مـرادهم - فهو باطـل، لأن الله تعـالى: قد أثبت لنفسه من صفات الكمال من هذا وغيره ما هو أهل له.

وتوحيـده فيها إثباتها له على الوجه اللائق به بـدون تمثيل، لا أن تنفى عنه بنوع من التحريف والتعطيل.

الوجه الثالث: قولهم: " واحد في صفاته لا شـبيه له " فيه إجمال:

([1] سورة الأنبياء، الآيات: 66-69.

([2] سورة الأنبياء، الآية: 36.

([3] سورة ص، الآيات: 4-6.

([4] سورة الممتحنة، الآية: 2.

فـإن أرادوا به إثبـات صـفات الله تعـالى: على الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به فهذا حق، وهو مذهب السلف لكن عامة المتكلمين لا يريدون ذلك.

وإن أرادوا به نفي أن يكـون شـيء من المخلوقـات مماثلاً له من كل وجه فهذا لغو لا حاجة إليه فهو كقـول القائـل: السـماء فوقنا والأرض تحتنا لأن مماثلة الخـالق للمخلـوق من كل وجه معلـوم الانتفـاء، بل الامتنـاع بضرورة العقل، والسمع، وإجماع العقلاء. ولهذا لم يُثبت أحد من الأمم أحداً مماثلاً لله تعالى: من كل وجه، وغاية من شبه به شيئاً أن يشبهه به في بعض الأمور.

وإن أرادوا به نفي أن يكـون بين صـفات الخـالق والمخلوق قدر مشـترك مع تمـيز كل منهما بما يختص به - وهذا مرادهم - فهو باطل، لأنه قد علم بضرورة العقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما لابد من قدر مشـترك بينهما مع تميز كل واحد منهما بما يختص بـه، كاتفاقهما في مسمى الوجود، والذات والقيام بـالنفس ونحو ذلـك، ونفي هذا القدر تعطيل محض.

والقـول بهـذا المـراد لا يمنع نفي ما يجب لله تعـالى: من صفات الكمـال عند من يـرى أن إثبـات ذلك يسـتلزم التشـبيه، فقد سـبق أن أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة وغـيرهم أدخلـوا نفي الصـفات في مسـمى التوحيد وقـالوا :من أثبت لله علمـاً، أو قـدرة ونحو ذلك فهو مشـبه غـير موحـد، وزاد عليهم غلاة الفلاسـفة، والقرامطة فأدخلوا فيه نفي الأسماء وقالوا: من قـال : إن الله عليم قدير ونحو ذلك فهو مشبه غير موحـد، وزاد عليهم غلاة الغلاة فقـالوا: إن الله لا يوصف بما يتضـمن إثباتاً أو نفياً، فمن نفى عنه صفة، أو أثبت له صفة فهو مشبه غير موحد.

وقد سبق الرد على هؤلاء الطوائف في أول الرسـالة ولله الحمد.

الوجه الرابع: قولهم: " واحد في أفعاله لا شريك لـه" وهذا أشـهر أنـواع التوحيد عنـدهم، ويعنـون به أن خـالق العالم واحد، ويظنون أن هـذا هو التوحيد المطلـوب وأن

هـذا معـنى " لا إله إلا الله " فيجعلـون معناهـا: لا قـادر على الاختراع إلا الله.

ومعلوم أن هذا خطأ من وجهين:

الأول: أن هـذا الـذي قـرروه قد أقر به المشـركون الـذين قـاتلهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم فـإنهم لم يجعلـوا لله شـريكاً في أفعاله كما قـال تعـالى: ﴿ ولئن سـألتهم من خلق السـموات والأرض وسـخر الشـمس والقمر ليقـولن الله ﴾ [1] ولئن سـألتهم من خلقهم ليقـولن الله ﴾ [2]. ومع هـذا لم يكونـوا موحـدين بل هم مشـركون بدلالة الكتـاب، والسـنة، والإجمـاع المعلـوم بالضـرورة من دين الإسـلام، لكـونهم أنكـروا توحيد الألوهية وقالوا: ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشـيء عجـاب ﴾ [3]ولهـذا قـاتلهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم مستبيحاً دماءهم وأموالهم، وسبى ذراريهم ونسائهم.

الثاني: أن تفسـيرهم " لا إله إلا الله " بهـذا التفسـير الذي ذكروه أي إنه لا قادر على الاختراع إلا الله، يقتضي أن من أقر بأن الله وحده هو القـادر على الاخـتراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله وعصم دمه وماله.

ومعلوم أن تفسـيرها بهـذا المعـنى باطل مخـالف لما عرفه المسـلمون منها فـإن تفسـيرها الصـحيح: أن لا معبـود حق إلا الله هـذا هو الـذي يعرفه المسـلمون من معناهـا، بل والمشـركون ألا تـرى إلى قـول الله تعـالى: فيهم: ﴿ إنهم كـانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يسـتكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ [1]. وكـانوا لا يستكبرون عن الإقـرار بقلـوبهم وألسـنتهم بـأن الله هو الخـالق وحـده ولا يـدعون أن آلهتهم تخلق شـيئاً فتـبين بذلك أن المشركين أعلم وأفقه بمعنى لا إله إلا الله من هـؤلاء المتكلمين، وأن غاية ما يقـرره هـؤلاء المتكلمـون من التوحيد توحيد الربوبية الـذي لا يخلص الإنسـان من

---

[1] سورة العنكبوت، الآية: 61.

[2] سورة الزخرف، الآية: 87.

[3] سورة ص، الآية: 5.

[1] سورة الصافات:الآيتان:35، 36.

الشرك، ولا يعصم به دمه وماله، ولا يسلم به من الخلـود في النار.

وقد سـلك هـذا المسـلك طوائف من أهل التصـوف المنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيـد، فكـان غاية ما عنـدهم من التوحيد أن يشـهد المـرء أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجـوده، وبمشـهوده عن شـهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فنـاء توحيد الربوبية بحيث يفـنى من لم يكن ويبقى من لم يزل.

ومعلـوم أن هـذه الغاية هي ما أقر به المشـركون من التوحيد وهي غاية لا يكون بها الرجل مسـلماً، فضـلاً عن أن يكون من أولياء الله تعالى: وسادة خلقه.

فصل

في الفناء وأقسامه

الفناء لغة : الزوال . قال الله تعالى: :) كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام([1].

وفي الاصطلاح ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ديـني شـرعي وهو الفنـاء عن إرادة السوى. أي: عن إرادة ما سوى الله عز وجل بحيث يفنى بـالإخلاص لله عن الشـرك، وبشـريعته عن البدعـة، وبطاعته عن معصـيته، وبالتوكل عليه عن التعلق بغـيره، وبمراد ربه عن مـراد نفسه إلى غـير ذلك مما يشـتغل به من مرضاة الله عما سواه.

وحقيقتـه: انشـغال العبد بما يقربه إلى الله عز وجل عما لا يقربه إليه وإن سمي فناء في اصطلاحهم.

وهذا فناء شرعي به جاءت الرسل، ونزلت الكتب، وبه قيـام الـدين والـدنيا، وصـلاح الآخـرة والـدنيا قـال الله تعالى:) ومن أراد الآخرة وسعى لها سـعيها وهو مـؤمن

([1]) سورة الرحمن، الآيتان: 26، 27.

فأولئك كـان سـعيهم مشـكوراً ([2]. وقـال:) من عمل صالحاً من ذكر أو أنـثى وهو مـؤمن فلنحيينه حيـاة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملـون ([3]. وقـال:) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصـلاة وأنفقـوا مما رزقنـاهم سـراً وعلانية ويـدرؤون بالحسـنة السـيئة أولئك لهم عقبى الدار([4]. وقال:) يا أيها الذين آمنـوا لا تلهكم أمـوالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك الخاسرون ([5].

وهذا هو الذوق الإيماني الحقيقي الـذي لا يعادله ذوق ففي الصـحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبه إلا للـه، وأن يكـره أن يعـود في الكفر بعد إذ أنقـذه الله منه كما يكـره أن يقذف في النار". وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قال: " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربـاً، وبالإسـلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ".

القسم الثاني: صوفي بدعي وهـو: الفنـاء عن شـهود السوى أي عن شهود ما سوى الله تعـالى:، وذلك أنه بما ورد على قلبه من التعلق بالله عز وجل وضـعفه عن تحمل هذا الـوارد ومقاومته غـاب عن قلبه كل ما سـوى الله عز وجل ففـني بهـذه الغيبوبة عن شـهود ما سـواه، ففني بالمعبود عن العبـادة وبالمـذكور عن الـذكر، حـتى صـار لا يـدري أهو في عبـادة وذكر أم لا، لأنه غـائب عن ذلك بالمعبود والمذكور لقوة سيطرة الوارد على قلبه.

وهـذا فنـاء يحصل لبعض أربـاب السـلوك، وهو فنـاء ناقص من وجوه:

([2]) سورة الإسراء، الآية: 19.

([3]) سورة النحل، الآية: 97.

([4]) سورة الرعد، الآية: 22.

([5]) سورة المنافقون، الآية: 9.

الأول: أنه دليل على ضـــعف قلب الفـــاني، وأنه لم يســتطع الجمع بين شــهود المعبــود والعبــادة، والآمر والمأمور به، واعتقد أنه إذا شاهد العبادة والأمر اشــتغل به عن المعبـود والآمـر، بل إذا ذكر العبـادة والـذكر كـان ذلك اشتغالاً عن المعبود والمذكور.

الثاني: أنه يصل بصاحبه إلى حال تشبه حال المجانين والسـكارى حـتى إنه ليصـدر عنه من الشـطحات القولية والفعلية المخالفة للشرع ما يعلم هو وغـيره غلطه فيها كقول بعضهم في هـذه الحـال: "سـبحاني.. سـبحاني أنا اللـــه. ما في الجبة إلا الله أنصب خيمـــتي على جهنم" ونحو ذلك من الهذيان والشطح.

الثـالث: أن هـذا الفنـاء لم يقع من المخلصـين الكمل من عبـــاد الله فلم يحصل للرســـل، ولا للأنبيـــاء، ولا للصديقين والشـهداء. فهـذا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج من آيات الله اليقينية مــالم يقع لأحد من البشر وفي هــذه الحــال كــان صــلى الله عليه وسلم على غاية من الثبات في قـواه الظـاهرة والباطنة كما قــال الله تعــالى: عن قــواه الظــاهرة:)ما زاغ البصر وما طغى([1]. وقال عن قواه الباطنـة:) ما كـذب الفـؤاد ما رأى ([2]. وهـاهم الخلفـاء الراشـدون أبو بكـر، وعمـر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أفضل البشر بعد الأنبياء وسادات أوليـائهم لم يقع لهم مثل هـذا الفنـاء، وها هم سائر الصحابة مع علو مقـامهم وكمـال أحـوالهم لم يقع لهم مثل هذا الفناء.

وإنما حدث هذا في عصر التابعين فوقع منه من بعض العباد والنسـاك ما وقـع، فكـان منهم من يصـرخ، ومنهم من يصعق، ومنهم من يموت، وعرف هذا كثيراً في بعض مشايخ الصوفية.

ومن جعل هذا نهاية السـالكين فقد ضل ضـلالاً مبينـاً، ومن جعله من لوازم السير إلى الله فقد أخطأ.

---

[1] سورة النجم، الآية: 17.

[2] سورة النجم، الآية: 11.

وحقيقتـــه: أنه من العـــوارض الـــتي تعـــرض لبعض الســـالكين لقـــوة الـــوارد على قلـــوبهم وضـــعفها عن مقاومته، وعن الجمع بين شهود العبـادة والمعبـود ونحو ذلك.

القسم الثالث: فنـاء إلحـادي كفـري وهـو: الفنـاء عن وجود السوى.

أي: عن وجـود ما سـوى الله عز وجـل، بحيث يـرى أن الخالق عين المخلوق، وأن الموجود عين الموجـــد، وليس ثمة رب ومربـوب، وخـالق ومخلـوق، وعابد ومعبـود وآمر ومأمور، بل الكل شيء واحد وعين واحدة.

وهذا فناء أهل الإلحاد القـائلين بوحـدة الوجـود كـابن عربي، والتلمساني وابن سـبعين، والقونـوي ونحـوهم.. وهؤلاء أكفر من النصارى من وجهين:

أحدهما: أن هؤلاء جعلـوا الـرب الخـالق عين المربـوب المخلوق وأولئك النصارى جعلوا الرب متحداً بعبده الـذي اصطفاه بعد أن كانا غير متحدين.

الثـاني: أن هـؤلاء جعلـوا اتحـاد الـرب سـارياً في كل شيء في الكلاب والخنازير والأقـذار، والأوسـاخ، وأولئك النصارى خصوه بمن عظموه كالمسيح [1].

وتصور هذا القول كاف في رده، إذ مقتضاه: أن الرب والعبد شيء واحد، والآكل والمأكول شيء واحد، والناكح والمنكـوح شـيء واحـد، والخصم والقاضي شـيء واحـد، والمشهود له وعليه والشاهد شـيء واحـد، وهـذا غاية ما يكون من السفه والضلال.

قـال الشـيخ رحمه اللـه: ويـذكر عن بعضـهم أنه كـان يـــأتي ابنه ويـــدعي أنه الله رب العـــالمين[2] فقبح الله طائفة يكـــون إلهها الـــذي تعبـــده هو موطوءها الـــذي تفترشه.

وقـــال ابن القيم رحمه الله تعـــالى: في النونية عن هذه الطائفة:

---

(1) ر: 2/172 مج ف ق.

(2) ر: 2/378 مج ف ق.

فالقوم ما صانوه عن إنس ولا جن ولا شجر ولا حيوان

لكنه المطعوم والملبوس والـ مشموم والمسموع بالآذان

وكذاك قالوا إنه المنكوح والـ مذبوح بل عين الغوي الزاني

إلى أن قال:

هذا هو المعبود عندهم فقل سبحانك اللهم ذا السبحان

يا أمة معبودها موطوؤها أين الإله وثغره الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها جزءاً يسيراً جملة الكفران

فصل

ولا يتم الإسلام إلا بالبراءة مما سواه كما قال الله تعالى: عن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم:) وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ([1].

وبين أن لنا فيه أسوة حسنة فقال تعالى:) قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده([2]. وقال تعالى:) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ([3]. وقال تعالى:) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ([4]. وقال تعالى:) لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ([5].

والبراءة نوعان:

الأول: براءة من عمل.

([1] سورة الزخرف، االآيات: 26-28.

([2] سورة الممتحنة، الآية: 4.

([3] سورة الممتحنة، الآية: 1.

([4] سورة المائدة، الآيتان: 51-52.

([5] سورة المجادلة، الآية: 22.

الثاني: براءة من عامل.

فأما البراءة من العمل: فتجب من كل عمل محرم سواء كان كفراً، أم دونه فيبرأ المؤمن من الشرك، والزنى، وشرب الخمر ونحو ذلك بحيث لا يرضاه ولا يقره، ولا يعمل به، لأن الرضا بذلك، أو إقراره، أو العمل به مضادة لله تعالى: ورضا بما لا يرضاه.

وأما البراءة من العامل: فإن كان عمله كفراً وجبت البراءة منه بكل حال من كل وجه لما سبق من الآيات الكريمة، ولأنه لم يتصف بما يقتضي ولاءه.

وإن كان عمله دون الكفر وجبت البراءة منه من وجه دون وجه فيوالى بما معه من الإيمان والعمل الصالح، ويتبرأ منه بما معه من المعاصي، لأن الفسوق لا ينافي أصل الإيمان، فقد يكون في الإنسان خصال فسوق، وخصال طاعة، وخصال إيمان، و خصال كفر كما قال الله تعالى:) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ([1]. فجعل الله تعالى: الطائفتين المقتتلتين إخوة للطائفة المصلحة، ووصفهم بالإيمان مع أن قتال المؤمن لأخيه من خصال الكفر لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ". ولم تكن هذه الخصلة الكفرية منافية لأصل الإيمان ولا رافعة للأخوة الإيمانية. ولا ريب أن الأخوة الإيمانية مقتضية للمحبة والولاية ويقوى مقتضاها بحسب قوة الإيمان والاستقامة.

وهذا الأصل ـ أعني أنه قد يجتمع في الإنسان خصلة إيمان، وخصلة كفر ـ هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، وكان عليه السلف والأئمة، فتكون المحبة والولاية تابعة لما معه من خصال الإيمان، والكراهة والعداوة تابعة لما عنده من خصال الكفر.

([1] سورة الحجرات، الآية: 9.

فصل

المؤمن مأمور بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور قال الله تعالى:) يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ([1]. وقال:) إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ([2]. وقال عن لقمان:) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور([3].وقال:)وبشر الصابرين ([4].

ومأمور في جانب الطاعة بالإخلاص والاستغفار قال الله تعالى:) فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ([5].

وقال:) أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير.وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه([6]. وقال تعالى:) قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه([7]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ". وقال: "إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " أخرجهما مسلم.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ".

والجامع لهذا: أنه لابد في الأمر من أصلين، ولابد في القدر من أصلين أيضاً.

([1]) سورة آل عمران، الآية: 200.

([2]) سورة يوسف، الآية: 90.

([3]) سورة لقمان، الآية: 17.

([4]) سورة البقرة، الآية: 155.

([5]) سورة محمد، الآية: 19.

([6]) سورة هود، الآيتان، 2-3.

([7]) سورة فصلت، الآية: 6.

أما الأصلان في الأمر فهما:

أصل قبل العمل أو مقـــارن له وهـــو: الاجتهـــاد في الامتثــال علمــاً، وعملاً فيجتهد في العلم بالله تعــالى:، وأسـمائه وصـفاته، وأحكامـه، ثم يعمل بما يقتضـيه ذلك العلم من تصــــديق الأخبــــار، والعمل بالأحكـــــام، فعلاً للمأمور، وتركاً للمحظور.

والثـاني: أصل بعد العمل وهو الاسـتغفار والتوبة من التفريط في المـأمور، أو التعـدي في المحظـور ولهـذا كان من المشروع ختم الأعمال بالاستغفار كما قـال الله تعــالى:) والمســتغفرين بالأســحار ([1]. فقــاموا الليل وختموه بالاستغفار، وكان النبي صـلى الله عليه وسـلم إذا انصرف من صلاته اسـتغفر ثلاثـاً. وآخر سـورة نـزلت عليه ســـورة النصر) إذا جــــاء نصر الله والفتح . ورأيت النـاس يـدخلون في دين الله أفواجـاً . فسـبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابـاً ([2]. فكـان بعد نزولها يكـثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمـدك اللهم اغفر لي. وكان نزولها إيذاناً بقرب أجله صلى الله عليه وسـلم كما قــال ابن عبــاس رضي الله عنهما في مجلس أمـير المؤمـنين عمر بن الخطـاب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة فأقره عمر رضي الله عنه وقال: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وفي صحيح مسـلم عن عائشة رضي الله عنها قـالت: كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يكـثر أن يقـول قبل أن يموت: سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليـك. فجعل الاســـتغفار والتوبة خاتمة العمر كما جعلتا خاتمة العمل.

وأما الأصلان في القدر فهما:

أصل قبل المقـدور وهـو: الاسـتعانة بالله عز وجـل، والاستعاذة به، ودعاؤه رغبة ورهبة فيكـون معتمـداً على ربه، ملتجئاً إليه في حصول المطلوب ودفع المكروه.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 17.

[2] سورة النصر، الآيات، 1-3.

والثاني بعد المقدور وهو: الصبر على المقدور حيث يفوت مطلوبه، أو يقع مكروهه فيوطن نفسه عليه بحيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الحال لا يمكن أن تتغير عما قدره الله تعالى: فيرضى بذلك ويسلم وينشرح صدره ويذهب عنه الندم والحزن كما قال الله تعالى:) ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ([3]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال علقمة في الآية: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

فإذا راعى الأمر والقدر على الوجه الذي ذكرنا كان عابداً لله تعالى: مستعيناً به متوكلاً عليه من الذين أنعم الله عليهم . وقد جمع الله بين هذين الأصلين في أكثر من موضع كقوله تعالى:)إياك نعبد وإياك نستعين ([4]. وقوله:) فاعبده وتوكل عليه ([5]. وقوله:) وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ([6].

فصل

والناس في هذا المقام مقام الشرع والقدر أربعة أقسام:

الأول: من حققوا هذه الأصول الأربعة: أصلي الشرع، وأصلي القدر وهم المؤمنون المتقون الذين كان عندهم من عبادة الله تعالى: والاستعانة به ما تصلح به أحوالهم، فكانوا لله، وبالله، وفي الله، وهؤلاء أهل القسط والعدل الذين شهدوا مقام الربوبية والألوهية، وهم أعلى الأقسام فإن هذا مقام الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين.

الثاني: من فاتهم التحقيق في أصلي القدر فكان عندهم من عبادة الله تعالى: والاستقامة في شرعه ما

([3] سورة التغابن، الآية: 11.

([4] سورة الفاتحة، الآية: 5.

([5] سورة هود، الآية:123.

([6] سورة هود، الآية: 88.

عنــــدهم، لكن ليس عنـــدهم قـــوة في الاســـتعانة بالله والصــبر على أحكامه الكونية والشــرعية، فيصــيبهم عند العمل من العجز والكسل ما يمنعهم من العمل أو إكمالـــــه، ويلحقهم بعد العمل من العجب والفخر ما قد يكـون سـبباً لحبـوط عملهم وخـذلانهم، وهـؤلاء أضـعف ممن سـبقهم وأدنى مقامــاً وأقل عــدلاً، لأن شــهودهم مقام الإلهية غالب على شهود مقام الربوبية.

الثالث: من فاتهم التحقيق في أصـلي الشـرع فكـانوا ضعفاء في الاستقامة على أمر الله ومتابعة شرعه، لكن عندهم قوة في الاسـتعانة بالله والتوكل عليـه، ولكن قد يكــون ذلك في أمــور لا يحبها الله تعــالى: ولا يرضــاها فيعان ويمكن له بقدر حالـه، ويحصل له من المكاشـفات والتأثيرات ما لا يحصل للقسم الذي قبله، لكن ما يحصل له من هــذه الأمــور يكــون من نصــيب العاجلة الــدنيا أما عاقبته فعاقبة ســــــــيئة، لأنه ليس من المتقين وإنما العاقبة للمتقين قال الله تعالى:) فإذا ركبــوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى الــبر إذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ([1]. فالله تعــالى: يعلم أن هـــؤلاء سيشـــركون بعد أن ينجيهم لكن لما كـــانوا في البحر كـــانوا مخلصـــين في دعـــائهم الله تعــالى: أن ينجيهم صــادقين في تفــويض الأمر إليه حصل مــــرداهم، ولما لم يكن لهم عبـــادة لم يستقم أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسراً.

فالفرق بين هؤلاء وبين القسم الذين قبلهم أن الذين قبلهم كــان لهم دين ضــعيف لضــعف اســتعانتهم بالله وتوكلهم عليـه، لكنه مسـتمر بـاق إن لم يفسـده صـاحبه بالعجز والجزع. وهؤلاء لهم حال وقــوة لكن لا يبقى لهم إلا ما وافقوا فيه الأمر واتبعوا فيه السنة.

القسم الرابــع: من فـــاتهم تحقيق أصـــلي الشـــرع، وأصـــلي القــدر فليس عنــدهم عبــادة لله تعــالى:، ولا اسـتعانة بـه، ولا لجـوء إليه عند الشـدة فهم مسـتكبرون عن عبـادة الله مسـتغنون بأنفسـهم عن خـالقهم، وربما

---

[1] سورة العنكبوت، الآيتان 65، 66.

لجـؤوا في الشـدائد وإدراك مطـالبهم إلى الشـياطين فأطاعوها فيما تريد وأعـانتهم فيما يريـدون فيظن الظان أن هذا من باب الكرامات، وهو من بـاب الإهانـات لأن عاقبتهم الذل والهوان وهذا القسم شر الأقسام.

فصل

في المفاضلة والمقارنة بين أرباب البدع

نظار المتكلمين الذين يدعون التحقيق وينتسـبون إلى السنة يرون التوحيد عبارة عن تحقيق توحيد الربوبية.

وطوائف من أهل التصـوف الـذين ينتسـبون إلى التحقيق والمعرفة غاية التوحيد عنـدهم شـهود توحيد الربوبية. ومعلوم أن هـذا هو ما أقر به المشـركون، وأن الرجل لا يكون به مسـلماً، فضـلاً عن أن يكـون وليـاً من أولياء الله، أو من سادات أولياء الله تعالى:.

وطائفة أخـرى تقـرر هـذا التوحيد مع نفي الصـفات، فيقعون في التقصير والتعطيل وهذا شر من حـال كثـير من المشركين.

والجهم بن صفوان إمـام الجهمية نفـاة الصـفات يغلو في القضاء والقـدر ويقـول بـالجبر، فيوافق المشـركين في قولهم : لو شـاء الله ما أشـركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شـيء، لكنه يثبت الأمر والنهي فيفـارق المشـركين إلا أنه يقـول بالإرجـاء فيضـعف الأمر والنهي والعقـاب عنده، لأن فاعل الكبيرة عنده مـؤمن كامل الإيمـان غـير مستحق للعقاب.

والنجارية أتبـاع الحسـين بن محمد النجـار والضـرارية أتباع ضرار بن عمرو وحفص الفرد يقربون من جهم في مسائل القـدر والإيمـان مع مقـاربتهم له أيضـاً في نفي الصفات.

والكلابية أتباع عبد الله بن سـعيد بن كلاب والأشـعرية المنتسـبون لأبي الحسن الأشـعري خـير من هـؤلاء في بـاب الصـفات فـإنهم يثبتـون لله الصـفات العقليـة، وأئمتهم يثبتـون الصـفات الخبرية في الجملـة، وأما في القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة.

وأصــحاب ابن كلاب كالحــارث المحاســبي خــير من الأشعرية في هذا وهذا.

والكرامية أتباع محمد بن كـرام قـولهم في الصـفات، والقــدر، والوعــد، والوعيد أشــبه من أكــثر طوائف أهل الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة.

وأما في الإيمان فقولهم منكر لم يســبقهم إليه أحــد، فإنهم جعلوا الإيمان قول اللسان فقط وإن لم يكن معه تصديق القلب، فالمنافق عنــدهم مــؤمن ولكنه مخلد في النار.

والمعتزلة أتبــاع واصل بن عطــاء الــذي اعــتزل مجلس الحسن البصــــري يقـــاربون قـــول جهم في الصـــفات فيقولــون بنفيهــا، وأما في القــدر والأســماء والأحكــام، فيخالفونه ففي القدر يقولــون: إن العبد مســتقل بعمله كامل الإرادة فيــه، ليس لله في عمله تقــدير، ولا خلــق. ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب.

وجهم يقـــول: إن العبد مجـــبر على عملـــه، وليس له إرادة فيه.

وفي الأســماء والأحكــام يقــول المعتزلــة: إن فاعل الكبيرة خارج عن الإيمــان غــير داخل في الكفر فهو في منزلة بين منزلتين، ولكنه مخلد في النار.

ويقــول جهم إنه مــؤمن كامل الإيمــان غــير مســتحق لدخول النار.

والمعتزلة خـــير من الجهمية فيما خـــالفوهم فيه من القــدر والأســماء والأحكــام فــإن إثبــات الأمر والنهي، والوعد والوعيد، مع نفي القدر خير من إثبــات القــدر مع نفي الأمر والنهي، والوعد والوعيــد، ولهــذا لم يوجد في زمن الصــحابة والتــابعين من ينفي الأمر والنهي، والوعد والوعيد ووجد في زمنهم القدرية، والخوارج الحرورية.

وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخــف، وكلما ضــعف من يقوم بنــور النبــوة قــويت البدعــة، وكلما كــان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل.

والمتصوفة الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم، لأن هؤلاء المتصوفة يشبهون المشركين الذين قالوا: ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ [1]. والقدرية يشبهون المجوس الذين قالوا: " إن للعالم خالقين " والمشركون شر من المجوس.

أما الصوفية الذين عندهم شيء من تعظيم الأمر والنهي مع مشاهدة توحيد الربوبية وإقرارهم بالقدر فهم خير من المعتزلة، لكنهم معتزلة من وجه آخر حيث جعلوا غاية التوحيد مشاهدة توحيد الربوبية، والفناء فيه فاعتزلوا بذلك جماعة المسلمين وسنتهم، وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شراً من بدعة أولئك المعتزلة.

وكل هذه الطوائف عندها من الضلال والبدع بقدر ما فارقت به جماعة المسلمين وسنتهم. ودين الله تعالى: ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، وهو الصراط المستقيم طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خير الأمة التي هي خير الأمم.

وقد أمرنا الله تعالى: أن نقول في صلاتنا: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [2].

فالمغضوب عليهم كاليهود عرفوا الحق فلم يتبعوه، والضالون كالنصارى عبدوا الله بغير علم، وكان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال: " هذا سبيل الله مستقيماً". وخط عن يمينه وشماله ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[3] وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: " يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 148.

[2] سورة الفاتحة، الآيتان: 6-7.

[3] سورة الأنعام، الآية: 153.

من قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً ". وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله تعالى: لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم".

نسأل الله تعالى: أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

والحمد لله رب العالمين.

تم في 22/5/1410هـ

تمت مقابلتها على صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

وذلك يوم الأربعاء الموافق 5/6/1412 هـ بمدينة الرياض والله الموفق.

كتبه: فهد بن ناصر السليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه مذكرة للمهم من مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها إنه جواد كريم.

شيخ الإسلام بن تيمية:

هو العـالم العلامة شـيخ الإسـلام تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن تيمية ولد في حـران في العاشر من ربيع الأول سـنة 661 هــ ثم تحـولت عائلته إلى دمشق فكانت موطن إقامته.

وقد كان رحمه الله عالماً كبيراً وعلماً منيراً ومجاهـداً شهيراً جاهد في الله بعقله وفكره وعلمه وجسمه وكان قـوي الحجة لا يصـمد أحد لمحاجته ولا تأخـذه في الله لومة لائم إذا بان له الحق أن يقول به ومن ثم حصلت له محن من ذوي السـلطان والجـاه فحبس مـراراً وتـوفي محبوساً في قلعة دمشق في 20 من شوال 728 هـ.

العقيدة الواسطية:

كتـاب مختصر جـامع لخلاصة عقيـدة أهل السـنة والجماعة من أسـماء الله وصـفاته وأمر الإيمـان بالله واليـوم الآخر وما يتصل بـذلك من طريقة أهل السـنة العملية.

وسبب تأليفها أن بعض قضاة واسط شـكوا إلى شـيخ الإسلام ما كان عليه الناس من بدع وضـلال وطلبـوا منه أن يكتب عقيـدة مختصـرة تـبين طريقة أهل السـنة والجماعة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وغير ذلك مما سـيذكر في تلك العقيـدة ولـذلك سـميت العقيـدة الواسطية.

أهل السنة والجماعة:

هم من كـان على مثل ما عليه النـبي صـلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقاداً وقـولاً وسـموا بـذلك لتمسـكهم بالسنة ولاجتماعهم عليها.

اعتقاد أهل السنة والجماعة:

هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر والقدر خيره وشره.

- **فالإيمان بالله: يتضمن الإيمان بوجـوده، وبربوبيتـه، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.**

- **والإيمـان بالملائكـة: يتضـمن الإيمـان بوجـودهم، والإيمان باسم من علم اسمه كجبريل، والإيمـان بصـفة من علم وصـفه كجبريل أيضـاً، والإيمـان بأعمـالهم ووظائفهم مثل عمل جبريل ينزل بالوحي ومالك خـازن النار.**
- **والإيمان بالكتب: يتضمن تصديق كونها من عند الله، وتصـديق ما أخـبرت بـه، والإيمـان بأسـماء ما علم منها كالتوراة وما لم يعلم فيؤمن به إجمالاً، والـتزام أحكامها إذا لم تنسخ.**
- **والإيمان بالرسل: يتضـمن الإيمـان بـأنهم صـادقون في رسالتهم، وبأسماء من علمت أسـماؤه منهم وما لم يعلم فيؤمن به إجمـالاً وتصـديق ما أخـبروا بـه، والـتزام أحكام شرائعهم غير المنسوخة والشـرائع السـابقة كلها منسوخة بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.**
- **والإيمان باليوم الآخر: يتضمن الإيمـان بكل ما أخـبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت.**
- **والإيمان بالقدر: يتضمن الإيمان بأن كل شيء واقع بقضاء الله وقدره.**

طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته:

طـريقتهم إثبـات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسـلم من غـير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

التحريف:

التحريف لغة: التغيير، واصطلاحاً: تغيـير لفظ النص أو معناه.

مثـال تغيـير اللفـظ: تغيـير قولـه:) وكلم الله موسى تكليماً ([1] من رفع الجلالة إلى نصبها ليكـون التكليم من موسى لا من الله.

([1]) سورة النساء، الآية: 164.

ومثال تغيير المعنى: تغيير معنى استواء الله على عرشه من العلو والاستقرار إلى الاستيلاء والملك لينتفي عنه معنى الاستواء الحقيقي.

التعطيل:

التعطيل لغة: الترك والتخلية، واصطلاحاً: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات إما كلياً كتعطيل الجهمية وإما جزئياً كتعطيل الأشعرية الذين لم يثبتوا من صفات الله إلا سبع صفات. مجموعة في قوله:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

التكييف والتمثيل والفرق بينهما:

التكييف إثبات كيفية الصفة كأن يقول: استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا والتمثيل إثبات مماثل للشيء كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان.

والفرق بينهما أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل والتكييف ذكرها غير مقيدة به.

حكم هذه الأربعة المتقدمة:

كلها حرام ومنها ما هو كفر أو شرك ومن ثم كان أهل السنة والجماعة متبرئين من جميعها.

والواجب إجراؤها على ظاهرها وإثبات حقيقتها لله على الوجه اللائق به والعلة في ذلك:

1. أن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
2. أن صرفها إلى المجاز قول على الله بلا علم وهو حرام.

أسماء الله وصفاته توقيفية

وهل هي من المحكم أو من المتشابه؟

أسماء الله وصفاته توقيفية. والتوقيفي ما توقف إثباته أو نفيه على الكتاب والسنة بحيث لا يجوز إثباته

ولا نفيه إلا بـــدليل منهما فليس للعقل في ذلك مجـــال لأنه شيء وراء ذلك.

وأســـــماء الله وصـــــفاته من المحكم في معناها لأن معناها معلـوم ومن المتشـابه في حقيقتها لأن حقائقها لا يعلمها إلا الله.

أسماء الله تعالى: غير محصورة:

أسماء الله غير محصورة بعدد معين لقوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء المأثور:

" أســألك اللهم بكل اسم هو لك ســميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك".

وما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى حصــره والإحاطة به.

والجمع بين هــذا وبين قوله صــلى الله عليه وســلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة" أن معـنى هـذا الحـديث أن من أسـماء الله تسـعة وتسـعين اختصت بأن من أحصـاها دخل الجنة فلا ينـافي أن يكـون له أســماء أخــرى غيرها ونظــير ذلك أن تقــول :عنــدي خمسون درعاً أعددتها للجهاد فلا ينافي أن يكـون عنـدك دروع أخرى. ومعنى إحصاء أسـماء الله أن يعـرف لفظها ومعناها ويتعبد لله بمقتضاها.

كيف يتم الإيمان بأسماء الله؟

إذا كان الاسم متعدياً فتمـام الإيمـان به إثبـات الاسم وإثبات الصـفة الـتي تضـمنها وإثبـات الأثر الـذي يـترتب عليه مثل الــرحيم فتثبت الاسم وهو الــرحيم والصــفة وهي الرحمة والأثر وهو أنه سبحانه يرحم بهذه الرحمة.

وإن كان الاسم لازماً فتمـام الإيمـان به إثباته وإثبـات الصــفة الــتي تضـمنها مثل الحي تثبت الاسم وهو الحي والصفة وهي الحياة.

أقسام الصفات باعتبار الثبوت وعدمه:

تنقسم إلى قسـمين: ثبوتية وهي الـتي أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم وسلبية وهي الـتي نفاها الله عن نفسه كالإعياء والظلم.

والصفة السـلبية يجب الإيمـان بما دلت عليه من نفي وإثبات ضده فقوله تعالى:) ولا يظلم ربك أحداً ([1]يجب الإيمان بانتفـاء الظلم عن الله وثبـوت ضـده وهو العـدل الذي لا ظلم فيه.

أقسام صفات الله باعتبار الدوام والحدوث:

تنقسم إلى قسـمين: صـفات دائمة لم يـزل ولا يـزال متصـفاً بها كـالعلم والقـدرة وتسـمى صـفات ذاتية ، وصـفات تتعلق بالمشـيئة إن شـاء فعلها وإن شـاء لم يفعلها كنزوله إلى السماء الدنيا وتسمى صفات فعلية.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه بالنظر إلى أصـله صـفة ذاتية لأن الله لم يـزل ولا يـزال متكلماً.

وباعتبار آحـاده وأفـراده الـتي يتكلم بها شـيئاً فشـيئاً صفة فعلية لأنه يتعلق بمشيئته.

الالحاد:

الإلحـاد لغـة: الميـل، واصـطلاحاً: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله.

ويكـون في أسـماء الله لقوله تعـالى:) وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه ([2]. ويكـون في آيـات الله لقوله تعالى:) إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ([3] .

وأنواع الإلحاد في أسماء الله أربعة:

1. أن ينكر شيئاً منها، أو مما تضـمنته من الصـفات كما فعل الجهمية.

2. أن يسـمي الله بما لم يسم به نفسه كما سـماه النصارى أباً.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 49.

(2) (2) سورة الأعراف،الآية:180.

(3) (3) سورة فصلت ، الآية:40.

3. أن يعتقد دلالتها على مشـــابهة الله لخلقه كما فعل المشبهة.

4. أن يشتق منها أسماء للأصـنام كاشـتقاق المشـركين العزى من العزيز.

الإلحاد في آيات الله نوعان:

1. الإلحاد في الآيـات الكونية الـتي هي المخلوقـات وهو إنكار انفراد الله بها بأن يعتقد أن أحداً انفـرد بها أو ببعضها دونه وأن معه مشاركاً في الخلق أو معيناً.

2. الإلحـاد في الآيـات الشـرعية الـتي هي الـوحي النازل على الأنبياء وهو تحريفها أو تكذيبها أو مخالفتها.

طريقة القـــرآن والســـنة في صـــفات الله من حيث الإجمال والتفصيل:

طريقة القـــرآن والســـنة هي الإجمـــال في النفي والتفصــيل في الإثبــات غالبــاً لأن الإجمــال في النفي أكمل وأعم في التنزيه من التفصـــيل، والتفصـــيل في الإثبـات أبلغ وأكـثر من المـدح في الإجمـال ولـذلك تجد الصـفات الثبوتية كثـيرة في الكتــاب والسـنة كالسـميع البصير، والعليم القدير، والغفور الرحيم.. الخ.

أما الصـــفات الســـلبية فهي قليلة مثل نفي الظلم، والتعب، والغفلة والولادة، والمماثل، والند، والمكافئ.

سورة الإخلاص:

هي) قل هو الله أحـد. الله الصـمد. لم يلد ولم يولـد. ولم يكن له كفـــواً أحد (وســـميت به لأن الله أخلصـــها لنفسه ولم يـــذكر فيها إلا ما يتعلق بأســـمائه وصـــفاته ولأنها تخلص قارئها من الشرك والتعطيل وسبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي صـلى الله عليه وسـلم انسب لنا ربك من أي شيء هو.

وكانت تعدل ثلث القرآن لأنه يتضـمن الإخبـار عن الله والإخبار عن مخلوقاته والأحكـام وهي الأوامر والنـواهي وسـورة الإخلاص تضـمنت النـوع الأول وهو الإخبـار عن الله.

وفيها من أسـماء الله: اللـه، الأحد ،الصـمد فالله هو المألوه المعبود حباً وتعظيماً والأحد هو المنفـرد عن كل شريك ومماثل والصمد الكامل في صفاته الذي افتقـرت إليه جميع مخلوقاته وفيها من صـفات الله ما تضـمنته الأسماء السابقة:

1. **الألوهية.**
2. **الأحدية.**
3. **الصمدية.**
4. **نفي الولد منه لأنه غني عن الولد ولا مماثل له.**
5. **نفي أن يكون مولـوداً لأنه خـالق كل شـيء وهو الأول الذي ليس قبله شيء.**
6. **نفي المكـافئ له وهو المماثل له في الصـفات لأن الله ليس كمثله شيء لكمال صفاته.**

آية الكرسي:

آية الكرسي هي قوله تعـالى: ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيـوم لا تأخـذه سـنة ولا نـوم له ما في السـموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنـده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطـون بشـيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السـموات والأرض ولا يـؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[1].

وسـميت آية الكرسي لـذكر الكرسي فيها وهي أعظم آية في كتـاب الله من قرأها في ليلة لم يـزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حـتى يصـبح، وتضـمنت من أسماء الله " الله " وتقدم معناه و" الحي " و" القيـوم " و" العلي" و"العظيم".

فـالحي: ذو الحيـاة الكاملة المتضـمنة لأكمل الصـفات التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال.

والقيـوم: هو القـائم بنفسه القـائم على غـيره فهو الغني عن كل أحد وكل أحد محتاج إليه.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

والعلي: هو العــالي بذاته فــوق كل شــيء العــالي بصفاته كمالاً فلا يلحقه عيب ولا نقص.

والعظيم: ذو العظمة وهي الجلال والكبرياء وتضـمنت من صفات الله خمس صفات تضمنتها الأسماء السابقة:

7. انفراد الله بالألوهية.

8. نفي النوم والسنة وهي النعاس عنه لكمال حياته وقيوميته.

9. انفــراده بالملك الشامل لكل شــيء له ما في السموات وما في الأرض.

10. كمال عظمته وسلطانه حيث لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

11. كمـال علمه وشـموله لكل شــيء يعلم ما بين أيــديهم (وهو الحاضر والمســتقبل)وما خلفهم(. وهو الماضي.

12. المشيئة.

13. كمــال قدرته بعظم مخلوقاته) وسع كرســيه السموات والأرض (.

14. كمال علمه وقدرته وحفظه ورحمته من قوله:) ولا يؤوده حفظهما (. أي لا يثقله ولا يعجزه.

الكرسي:

الكرسي موضع قــدمي الــرحمن ســبحانه وتعــالى: وعظمته كما جــاء في الحــديث. " ما السـموات السـبع والأرضون السبع بالنســبة إلى الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وإن فضل العـــــرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ".

وهــذا يــدل على عظمة الخــالق ســبحانه وتعــالى:، والكرسي غــير العــرش لأن الكرسي موضع القــدمين والعرش هو الـذي اسـتوى عليه الله ولأن الأحـاديث دلت على المغايرة بينهما.

معنى قوله تعالى:

) هو الأول والآخر والظـاهر والبـاطن وهو بكل شـيء عليم([1]

هـذه الأسـماء الأربعة فسـرها النـبي صـلى الله عليه وسـلم بـأن " الأول " الـذي ليس قبله شـيء " والآخر " الذي ليس بعده شيء و" الظاهر" الذي ليس فوقه شيء و" الباطن " الذي ليس دونه شيء.

وقوله:) وهو بكل شيء عليم ([2]أي محيط علمه بكل شيء جملة وتفصيلاً.

علم الله:

العلم إدراك الشـــيء على حقيقته وعلم الله تعـــالى: كامل محيط بكل شـــيء جملة وتفصـــيلاً فمن أدلة العلم الجملي قوله تعـالى:)والله بكل شــيء عليم([1]ومن أدلة العلم التفصــيلي قوله تعــالى:)وعنــده مفــاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في الــبر والبحر وما تســقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يــابس إلا في كتــاب مــبين([2]ومن أدلة علم الله بــأحوال خلقه قوله تعالى:) والله بما تعملـون عليم ([3]) وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مســــــــتقرها ومستودعها كلّ في كتاب مبين([4].

مفاتح الغيب:

مفــاتح الغيب خزائنه أو مفاتيحه وهي المــذكورة في قوله تعـالى:) إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما في الأرحـام وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تــدري نفس بــأي أرض تمــوت إن الله عليم خبــير ([5]فالخبير هو العليم ببواطن الأمور.

---

[1] سورة الحديد، الآية: 3.

[2] سورة الحديد، الآية: 3.

[1] سورة البقرة، الآية: 282.

[2] سورة الأنعام، الآية: 59.

[3] سورة البقرة، الآية: 283.

[4] سورة هود، الآية: 6.

[5] سورة لقمان، الآية 34:.

القدرة:

القـــدرة: هي التمكن من الفعل بلا عجز وقـــدرة الله شــاملة كل شــيء ودليلها قوله تعــالى:)والله علي كل شيء قدير ([6].

القوة:

القـوة: هي التمكن من الفعل بلا ضـعف ودليلها قوله تعالى:) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ([7]والمــتين الشديد القوة. والفـرق بينها وبين القـدرة أنها أخص من القدرة من وجه وأعم من وجه فهي بالنسـبة للقـادر ذي الشـعور أخص لأنها قـدرة وزيـادة وهي بالنسـبة لعمـوم مكانها أعم لأنها يوصف بها ذو الشـعور وغـيره فيقــال للحديد مثلاً :قوي ولا يقال له :قادر.

الحكمة ومعنى الحكيم:

الحكمة : هي وضع الأشــياء في مواضــعها على وجه متقن ودليل اتصاف الله بها قوله تعـالى: :) وهو العليم الحكيم ([8] وللحكيم معنيان، أحدهما: أن يكون بمعنى ذي الحكمة فلا يــأمر بشــيء ولا يخلق شــيئاً إلا لحكمة ولا ينهى عن شــيء إلا لحكمــة، والثــاني: أن يكــون بمعــنى الحاكم الذي يحكم بما أراد ولا معقب لحكمه.

أنواع حكمة الله:

حكمة الله نوعـان: شـرعية وكونيـة. فالشـرعية محلها الشــرع وهو ما جــاءت به الرسل من الــوحي فكله في غاية الإتقان ،والحكمة الكونية محلها الكون أي مخلوقات الله فكل ما خلقه الله فهو في غاية الإتقان والمصلحة.

أنواع حُكْم الله:

حكم الله نوعان: كوني وشـرعي: فـالكوني ما يقضي به الله تقديراً وخلقـاً ودليله قوله تعـالى: عن أحد إخـوة

---

(6) سورة البقرة، الآية: 284.

(7) سورة الذاريات، الآية: 58.

(8) سورة التحريم، الآية: 2.

يوسـف:) فلن أبـرح الأرض حـتى يـأذن لي أبي أو يحكم الله لي ([1].

والشرعي ما يقضي به الله شرعاً ودليله قوله تعالى:) ذلكم حكم الله يحكم بينكم ([2].

الرزق:

الرزق إعطاء المرزوق ما ينفعه ودليله قوله تعـالى:) إن الله هو الرزاق ([3]) وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ([4]وهو نوعان: عام، وخاص.

فالعام ما يقوم به البدن من طعام وغيره وهو شـامل لكل مخلوق.

والخاص ما يصلح به القلب من الإيمان والعلم والعمل الصالح.

مشيئة الله:

مشــيئة الله هي إرادته الكونية وهي عامة لكل شــيء من أفعاله وأفعال عباده والدليل قوله تعالى: في أفعال اللــه:)ولو شـئنا لآتينا كل نفس هـداها ([5]والـدليل في أفعال العباد قوله تعالى:) ولو شاء الله ما فعلوه ([6].

إرادة الله وأقسامها:

إرادة الله صفة من صفاته وتنقسم إلى قسمين:

كونية وهي التي بمعنى المشيئة وشـرعية وهي الـتي بمعنى المحبة فـدليل الكونية قوله تعـالى: :) فمن يـرد الله أن يهديه يشرح صـدره للإسـلام ([7]ودليل الشـرعية قوله تعالى:) والله يريد أن يتوب عليكم ([8].

([1] سورة يوسف، الآية: 80.

([2] سورة الممتحنة، الآية 10.

([3] سورة الذاريات، الآية: 58.

([4] سورة هود، الآية: 6.

([5] سورة السجدة، الآية: 13.

([6] سورة الأنعام، الآية: 137.

([7] سورة الأنعام، الآية: 125.

([8] سورة النساء، الآية: 27.

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

الفرق بينهما أن الكونية لابد فيها من وقوع المراد وقد يكون المراد فيها محبوباً الله وقد يكون غير محبوب وأما الشرعية فلا يلزم فيها وقوع المراد ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً لله.

محبة الله:

محبة الله صفة من صفاته الفعلية ودليلها قوله تعالى:) فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ([1]وقوله تعالى:) وهو الغفور الودود ([2] والود خالص المحبة ولا يجوز تفسير المحبة بالثواب لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليل.

المغفرة والرحمة:

الدليل على ثبوت صفة المغفرة والرحمة لله قوله تعالى:) وكان الله غفوراً رحيماً ([3].

والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه والرحمة صفة تقتضي الإحسان والإنعام وتنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة. فالعامة هي الشاملة لكل أحد والدليل قوله تعالى:) ورحمتي وسعت كل شيء ([4]) ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ([5].

والخاصة التي تختص بالمؤمنين ودليلها قوله تعالى:) وكان بالمؤمنين رحيماً ([6] ولا يصح تفسير الرحمة بالإحسان لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف ولا دليل عليه.

الرضا والغضب والكراهة والمقت والأسف:

([1]) سورة المائدة، الآية: 54.

([2]) سورة البروج، الآية: 14.

([3]) سورة النساء، الآية: 96.

([4]) سورة الأعراف، الآية: 156.

([5]) سورة غافر، الآية: 7.

([6]) سورة الأحزاب، الآية: 43.

الرضا صفة من صفات الله مقتضـاها محبة المرضي عنه والإحســان إليه ودليلها قوله تعــالى:) رضي الله عنهم ورضوا عنه ([7].

والغضب صــفة من صــفات الله مقتضــاها كراهية المغضــوب عليه والانتقــام منه وقــريب منها صــفة السخط ودليل اتصاف الله بها قوله تعـالى: :) وغضب الله عليه ولعنه ([8]) ذلك بـأنهم اتبعـوا ما أسـخط الله وكرهـوا رضـوانه ([1]والكراهية صـفة من صـفات الله الفعلية مقتضاها إبعاد المكروه ومعاداته والدليل عليها قوله تعالى:) ولكن كره الله انبعاثهم ([2].

والمقت أشد البغض والبغض قــــريب من معــــنى الكراهيـة. ودليل المقت قوله تعـالى:) كـبر مقتـاً عند الله أن تقولــوا ما لا تفعلــون ([3]والأسف له معنيــان أحدهما:

الغضب وهذا جـائز على الله والـدليل قوله تعـالى:) فلما آسفونا انتقمنا منهم ([4] أي أغضبونا.

والثاني: الحزن وهـذا لا يجـوز على الله ولا يصح أن يوصف به لأن الحــــزن صـــفة نقص والله مــــنزه عن النقص.

ولا يجوز تفسير الرضا بـالثواب، والغضب بالانتقـام، والكراهية والمقت بالعقوبة، لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليل.

المجيء والإتيان:

المجيء والإتيــــان من صــــفات الله الفعلية وهما ثابتتان لله على الوجه اللائق به ودليلهما قوله تعالى:)

([7]) سورة المائدة، الآية: 119.

([8]) سورة النساء، الآية: 93.

([1]) سورة محمد، الآية 28.

([2]) سورة التوبة، الآية: 46.

([3]) سورة الصف، الآية: 3.

([4]) سورة الزخرف، الآية: 55.

وجـاء ربك والملك صـفاً صـفاً ([5]وقوله تعـالى:) هل ينظـــرون إلا أن يـــأتيهم الله في ظلل من الغمـــام والملائكة ([6]ولا يصح تفسيرهما بمجيء أو إتيان أمـره لأنه مخـالف لظـاهر اللفظ وإجمـاع السـلف ولا دليل عليه.

والمراد بقوله تعالى:) أو يأتي بعض آيات ربك ([7].

طلوع الشمس من مغربها الذي به تنقطع التوبة.

ووجه ذكر المؤلف من أدلة مجيء الله قوله تعالى:) ويـوم تشـقق السـماء بالغمـام ونـزل الملائكة تـنزيلاً ([8]مع أنه ليس في الآية ذكر المجيء:

أنّ تشـــقق الســـماء بالغمـــام وتنزيل الملائكة إنما يكونـان عند مجيء الله للقضـاء بين عبـاده فيكـون من باب الاسـتدلال بأحد الأمـرين على الآخر لما بينهما من التلازم.

الوجه:

الوجه صفة من صـفات الله الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ودليله قوله تعـالى:) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكـرام ([1]والجلال العظمة والإكـرام إعطاء الطائعين ما أعدّ لهم من الكرامة.

ولا يجوز تفسير الوجه بـالثواب لأنه مخـالف لظـاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليل.

اليد:

إن يدي الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به يبسـطهما كيف يشـاء ويقبض بهما ما

([5] سورة الفجر، الآية: 22.

([6] سورة البقرة، الآية: 210.

([7] سورة الأنعام، الآية: 158.

([8] سورة الفرقان، الآية: 25.

([1] سورة الرحمن، الآية: 27.

شاء ودليلهما قوله تعـالى:) بل يـداه مبسـوطتان ([2]) ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ([3].

ولا يجوز تفسير اليـدين بـالقوة لأنه مخـالف لظـاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليـل. وفي السـياق ما يمنعه وهو التثنية لأن القـــــــوة لا يوصف الله بها بصيغة التثنية.

العين:

إن عيـــني الله من صــفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ينظر بهما ويبصر ويـــــرى ودليل ذلك قوله تعــالى:) ولتصــنع على عيــني ([4]) تجــري بأعيننا ([5].

ولا يجـــوز تفســيرهما بـــالعلم ولا بالرؤية مع نفي العين لأنه مخالف لظـاهر اللفظ وإجمـاع السـلف على ثبوت العين لله ولا دليل عليه.

والجـواب عن تفسـير بعض السـلف قوله تعـالى:) تجري بأعيننا (أي بمرأى منا أنهم لم يريدوا بذلك نفي حقيقة معنى العين وإنما فسروها بـاللازم مع إثبـاتهم العين وهـذا لا بـأس به بخلاف الـذين يفسـرون العين بالرؤية وينكرون حقيقة العين.

الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين:

وردت هاتـان الصـفتان على ثلاثة أوجه إفـراد وتثنية وجمع فمثـال الإفـراد قوله تعـالى:)تبـارك الـذي بيـده الملك ([6]وقوله تعـــالى :) ولتصـــنع على عيـــني ([7]ومثال التثنية قوله تعالى:)بل يداه مبسوطتان ([8].

([2]) سورة المائدة، الآية: 64.

([3]) سورة ص، الآية: 75.

([4]) سورة طه، الآية: 39.

([5]) سورة القمر، الآية: 14.

([6]) سورة الملك، الآية: 1.

([7]) سورة طه، الآية: 39.

([8]) سورة المائدة، الآية: 64.

وفي الحديث الشريف " إذا قام أحـدكم يصـلي فإنه بين عيني الرحمن ". ومثال الجمع قوله تعالى:) أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيـدينا أنعامـاً ([1]. وقوله تعالى:) تجري بأعيننا([2].

والجمع بين هـذه الوجـوه أنه لا منافـاة بين الإفـراد والتثنية لأن المفـرد المضـاف يعم فـإذا قيـل: يد الله وعين الله شـــــمل كل ما ثبت له من يد أو عين وأما التثنية والجمع فلا منافــاة بينهما أيضــاً لأن المقصــود بالجمع هنا التعظيم وهو لا ينافي التثنية.

السمع:

سمع الله تعالى:من الصــفات الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ودليله قوله تعالى:)وهو السميع العليم ([3].

وينقسم إلى قسمين:

الأول: بمعــنى الإجابة وهــذا من الصــفات الفعلية ومثاله قوله تعالى:) إن ربي لسميع الدعاء([4].

الثاني: بمعـنى إدراك المسـموع وهـذا من الصـفات الذاتية ومثاله قوله تعـالى:) قد سـمع الله قـول الـتي تجادلك في زوجها ([5]. وهـــذا القسم قد يـــراد به مع إدراك المســموع النصر والتأييد كقوله تعــالى لموسى وهـارون:) إنــني معكما أســمع وأرى ([6]. وقد يـراد به أيضاً التهديد كقوله تعالى:) لقد سمع الله قول الــذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ([7]. وقوله تعـالى:)أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ([8].

---

[1] سورة يس، الآية: 71.

[2] سورة القمر، الآية: 14.

[3] سورة البقرة، الآية: 137.

[4] سورة إبراهيم، الآية: 39.

[5] سورة المجادلة، الآية: 1.

[6] سورة طه، الآية: 46.

[7] سورة آل عمران، الآية: 181.

[8] سورة الزخرف، الآية: 80.

الرؤية:

الرؤية صفة من صفات الله الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به وتنقسم إلى قسمين:

أحـــدهما: بمعـــنى البصر وهو إدراك المرئيـــات والمبصـرات ودليلها قوله تعـالى:) إنـني معكما أسـمع وأرى ([1]. وقوله تعالى:) وهو السميع البصير ([2].

الثـاني: الرؤية بمعـنى العلم ودليلها قوله تعـالى:) إنهم يرونه بعيداً .ونراه قريباً([3].أي نعلمه.

والقسم الأول من الرؤية قد يـــــــراد به مع إدراك المرئي النصر والتأييد مثل قوله تعالى :)إنني معكما أســمع وأرى ([4]. وقد يـــراد به أيضـــاً التهديد كقوله تعالى:) ألم يعلم بأن الله يرى([5].

المكر والكيد والمحال:

معـنى هـذه الكلمـات الثلاث متقـارب وهـو: التوصل بالأسباب الخفية إلى الانتقام من العدو.

ولا يجــوز وصف الله بها وصــفاً مطلقــاً بل مقيــداً لأنها عند الإطلاق تحتمل المــدح والــذم والله ســبحانه منزه عن الوصف بما يحتمل الذم.

وأما عند التقييد بأن يوصف الله بها على وجه تكون مـــدحاً لا يحتمل الـــذم دالاً على علمه وقدرته وقوته فهذا جائز لأنه يدل على كمال الله.

والدليل على اتصاف الله تعالى: بهذه الصفات قوله تعالى:) ويمكرون ويمكر الله والله خير المـاكرين ([6]. وقوله تعـالى:) إنهم يكيـدون كيـداً .وأكيد كيـداً ([7].

([1] سورة طه، الآية: 46.

([2] سورة الشورى، الآية: 11.

([3] سورة المعارج، الآيتان: 6، 7.

([4] سورة طه، الآية: 46.

([5] سورة العلق، الآية: 14.

([6] سورة الأنفال، الآية: 30.

([7] سورة الطارق، الآيتان: 15، 16.

وقوله تعـــالى:) وهم يجـــادلون في الله وهو شـــديد المحال ([8].

يكون المكر والكيد والمِحال صفة مدح:

إذا كان لإثبات الحق وإبطال الباطل ويكون ذماً فيما عدا ذلك.

ولا يجــوز أن يشــتق من هــذه الصــفات أســماء لله فيقال :الماكر والكائد ؛

لأن أســماء الله الحســنى لا تحتمل الــذم بــأي وجه وهذه عند إطلاقها تحتمل الذم كما سبق.

العفو:

العفو هو المتجاوز عن سيئات الغير وهو من أســماء الله ودليله قوله تعالى:) وكان الله عفواً غفوراً([1].

من نصوص الصفات السلبية:

سبق لك أن صفات الله ثبوتية وهي الــتي أثبتها الله لنفسه وســـلبية وهي الـــتي نفاها عن نفسه وأن كل صـفة سـلبية فإنها تتضـمن صـفة مـدح ثبوتية وقد ذكر المؤلف رحمه الله آيــات كثــيرة في الصــفات الســلبية ومنها) هل تعلم له سمياً([2].) ولم يكن له كفواً أحد ([3].) فلا تجعلوا لله أنداداً ([4].

والســمي والكفؤ والند معناها متقــارب وهو المثيل والنظـــير ونفي ذلك من الله يتضـــمن انتفـــاء ما ذكر وإثبـــــات كماله حيث لا يماثله أحد لكماله ومنها قوله تعـالى:)وقل الحمد لله الـذي لم يتخذ ولـداً ولم يكن له شــريك في الملك ولم يكن له ولي من الــذل وكبّــره تكبيراً ([5]. فأمر الله بحمده لانتفاء صفات النقص عنه

([8] سورة الرعد، الآية: 13.

([1] سورة النساء، الآية: 99.

([2] سورة مريم، الآية: 65.

([3] سورة الإخلاص، الآية: 4.

([4] سورة البقرة، الآية: 22.

([5] سورة الإسراء، الآية: 111.

وهي اتخـــاذ الولد ونفيه عن الله يتضـــمن مع انتفائه كمــال غنــاه ونفي الشــريك عن الله يتضــمن كمــال وحدانيته وقدرته.

ونفي الولي عنه من الذل يتضمن كمال عزه وقهره ونفي الـولي هنا لا ينـافي إثباته في موضع آخر كقوله تعــالى:) الله ولي الــذين آمنــوا ([6]. وقولــه:) ألا إن أوليـاء الله لا خـوف عليهم ([7]. لأن الـولي المنفي هو الولي الذي سببه الذل أما الولي بمعــنى الولاية فليس بمنفي. ومنها قوله تعـــــالى:) يســــــبح لله ما في السـموات وما في الأرض ([8]. والتســبيح تنزيه الله عن النقص والعيب وذلك يتضمن كمال صفاته.

وفي الآية دليل على أن كل شيء يسبح الله تسبيحاً حقيقياً بلسان الحال والمقال إلا الكافر فـإن تســبيحه بلســان الحـال فقط لأنه يصف الله بلســانه بما لا يليق به.

ومنها قوله تعــالى:) ما اتخذ الله من ولد وما كـــان معه من إله إذاً لـــذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضـــهم على بعض سبحان الله عما يصفون ([9].

ففي هذه الآية نفي اتخـاذ الولـد، ونفي تعـدد الآلهة وتنزيه الله عما وصفه به المشركون وهـذا يتضـمن مع انتفاء ما ذكر كمـال الله وانفـراده بما هو من خصائصه وقد بـــرهن الله على امتنـــاع تعـــدد الآلهة ببرهـــانين عقليين:

أحدهما: أنه لو كان معه إله لانفـرد عن الله بما خلق ومن المعلــوم عقلاً وحســاً أن نظــام العــالم واحد لا يتصادم ولا يتناقض وهو دليل على أن مدبره واحد.

والثاني: أنه لو كـان مع الله إله آخر لطلب أن يكـون العلو له وحينئذ إما أن يغلب أحــدهما الآخر فيكــون هو

---

[6] سورة البقرة، الآية: 257.

[7] سورة يونس، الآية 62.

[8] سورة الجمعة، الآية: 1.

[9] سورة المؤمنون، الآية: 91.

الإله وإما أن يعجز كل منهما عن الآخر فلا يستحق واحد منهما أن يكون إلهاً لأنه عاجز.

ومنها قوله تعالى:) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ([1]. وهذه المحرمات الخمس أجمعت عليها الشرائع وفيها إثبات الحكمة وإثبات الغيرة له لأنه حرم هذه الأمور ومعنى قوله: ما لم ينزل به سلطاناً: أي ما لم ينزل به دليلاً وهو قيد لبيان الواقع لأنه لا يمكن أن يقوم الدليل على الإشراك بالله وعلى هذا فلا مفهوم له وفي هذه الآية ردٌ على المشبهة في قوله :) وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً (. لأن المشبهة أشركوا به حيث شبهوه بخلقه وفيها رد على المعطلة في قوله تعالى:) وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (. لأن المعطلة قالوا على الله مالا يعلمون حيث نفوا صفاته عنه بحجج باطلة وهذا هو وجه مناسبة ذكر هذه الآية في العقيدة.

العلو وأقسامه:

العلو: الارتفاع

وأقسام العلو ثلاثة:

1. **1. علو الذات ومعناه أن الله بذاته فوق خلقه.**
2. **2. علو القدر ومعناه أن الله ذو قدر عظيم لا يساويه فيه أحد من خلقه ولا يعتريه معه نقص.**
3. **3. علو القهر ومعناه أن الله تعالى: قهر جميع المخلوقات فلا يخرج أحد منهم عن سلطانه وقهره.**

وأدلة العلو الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

فمن الكتاب قوله تعالى:) وهو العلي العظيم ([2].

---

[1] سورة الأعرف، الآية: 33.

[2] سورة البقرة، الآية:255.

ومن السـنة قوله صـلى الله عليه وسـلم: " ربنا الله الذي في السماء " وإقـراره الجارية حين سـألها أين الله قالت :في السماء فلم ينكر عليها بل قال :أعتقها فإنها مؤمنة.

وفي حجة الوداع أشـهد النـبي صـلى الله عليه وسـلم ربه على إقـــرار أمته بـــالبلاغ وجعل يرفع أصـــبعه إلى السماء ثم ينكبها إلى النـاس وهو يقـول: " اللهم اشـهد ".

وأما الإجمـاع على علو الله فهو معلـوم بين السـلف ولم يعلم أن أحـــداً منهم قـــال بخلافه وأما العقل فلأن العلو صفة كمال والله سبحانه متصف بكل كمال فـوجب ثبوت العلو له.

وأما الفطـرة فـإن كل إنسـان مفطـور على الإيمـان بعلو الله ولـــذلك إذا دعا ربه وقـــال :يا رب لم ينصـــرف قلبه إلا إلى السماء.

والذي أنكره الجهمية من أقسام العلو علو الذات ونرد عليهم بما سبق في الأدلة.

استواء الله على عرشه:

معنى استواء الله على عرشه علـوه واسـتقراره عليه وقد جاء عن السلف تفسيره بالعلو والاستقرار والصعود والارتفاع، والصعود والارتفاع يرجعان إلى معنى العلو.

ودليله قوله تعـالى:) الـرحمن على العـرش اسـتوى(. وقد ذكر في سبعة مواضع من القرآن.

ونرد على من فسره بالاستيلاء والملك بما يأتي:

1. 1. أنه خلاف ظاهر النص.
2. 2. أنه خلاف ما فسره به السلف.
3. 3. أنه يلزم عليه لوازم باطلة.

والعـرش لغـة: سـرير الملك الخـاص بـه، وشـرعاً: ما استوى الله عليه وهو من أعظم مخلوقات الله بل أعظم ما علمنا منها فقد جاء عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قال: " ما السموات السبع والأرضون السبع بالنسـبة

إلى الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وإن فضل العـــــــرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة".

المعية

المعية لغة: المقارنة والمصاحبة.

ودليل ثبوت المعية لله قوله تعـالى:) وهو معكم أينما كنتم([1]**.**

وتنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة:

فالعامة هي الشـــاملة لجميع الخلق كقوله تعـــالى:) وهو معكم أينما كنتم ([2]**. ومقتضى المعية هنا الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً وتدبيراً.**

والخاصة هي الـــتي تختص بالرسل وأتبـــاعهم كقوله تعـــالى:) لا تحـــزن إن الله معنا ([1]**. وقوله)إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (** [2]**.**

وهـــذه المعية تقتضي مع الإحاطة النصر والتأييـــد. والجمع بين المعية والعلو من وجهين:

أولاً: أنه لا منافاة بينهما في الواقع فقد يجتمعان في شـيء واحد ولـذلك تقـول: مازلنا نسـير والقمر معنا مع أنه في السماء.

ثانياً: أنه لو فرض أن بينهما منافـاة في حق المخلـوق لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق لأنه ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط.

ولا يصح تفســــــــير معية الله بكونه معنا بذاته في المكان:

أولاً: لأنه مستحيل على الله حيث ينافي علـوه وعلـوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

ثانياً: أنه خلاف ما فسرها به السلف.

---

[1] سورة الحديد، الآية: 4.

[2] سورة الحديد، الآية: 4.

[1] سورة التوبة، الآية: 40.

[2] سورة النحل، الآية: 128.

ثالثاً: أنه يلزم على هذا التفسير لوازم باطلة.

معنى كون الله في السماء:

معنـاه على السـماء أي فوقها ففي بمعـنى على كما جـاءت بهـذا المعـنى في قوله تعـالى:) قل سـيروا في الأرض ([3]. أي عليها ويجــــوز أن تكــــون في للظرفية والسماء على هـذا بمعـنى العلو فيكـون المعـنى أن الله في العلو وقد جــاءت الســماء بمعــنى العلو في قوله تعالى:) أنزل من السماء ماءً ([4].

ولا يصح أن تكون في للظرفية إذا كان المراد بالسماء الأجرام المحسوسة لأن ذلك يوهم أن السماء تحيط بالله وهذا معـنى باطل لأن الله أعظم من أن يحيط به شـيء من مخلوقاته.

قول أهل السنة في كلام الله تعالى:

قول أهل السنة في كلام الله أنه صفة من صـفاته لم يـــــزل ولا يـــــزال يتكلم بكلام حقيقي يليق به يتعلق بمشـيئته بحـروف وأصـوات مسـموعة لا يماثل أصـوات المخلوقين يتكلم بما شاء ومتى شاء وكيف شاء وأدلتهم على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى:) وكلم الله موسى تكليماً ([5].

وقوله تعـالى:) ولما جـاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربه([1]. والـدليل على أنه بصـوت قوله تعـالى:)وناديـنـاه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا([2].

ومن السـنة قوله صـلى الله عليه وسـلم يقـول الله تعالى: " يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادي بصـوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار فيقــول: يا ربي وما بعث النار.. ".

---

(3) سورة الأنعام، الآية: 11.

(4) سورة الرعد، الآية: 17.

(5) سورة النساء، الآية: 164.

(1) سورة الأعراف، الآية:143.

(2) سورة مريم، الآية: 52.

ودليلهم على أنه بحـروف قوله تعـالى:) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ([3]. فمقول القول هنا حروف.

ودليلهم على أنه بمشـيئة قوله تعـالى:) ولما جـاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ([4]. فـالتكليم حصل بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام.

وكلام الله تعالى: صفة ذات باعتبار أصله فـإن الله لم يـزل ولا يـزال قـادراً على الكلام متكلمـاً، وصـفة فعل باعتبار آحاده لأن آحـاد الكلام تتعلق بمشـيئته مـتى شـاء تكلم.

وأكثر المؤلف من ذكر أدلة الكلام لأنه أكثر ما حصـلت فيه الخصومة ووقعت به الفتنة من مسائل الصفات.

قول أهل السنة في القرآن الكريم:

يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بـدأ، وإليه يعود فدليلهم على أنه كلام الله قوله تعالى:) وإن أحد من المشركين اسـتجارك فـأجره حـتى يسـمع كلام الله ([5]. يعني القرآن.

ودليلهم على أنه منزل قوله تعالى:) تبارك الذي نزل الفرقـان على عبـده ([6]. وقوله تعـالى:)وهـذا كتـاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ([7].

والـدليل على أنه غـير مخلـوق قوله تعـالى:) ألا له الخلق والأمر ([8] فجعل الأمر غـير الخلق والقـرآن من الأمر لقوله تعالى:) وكـذلك أوحينا إليك روحـاً من أمرنا (.[9] ولأن القـرآن من كلام الله وكلام الله صـفة من صفاته. وصفات الله غير مخلوقة.

([3] سورة البقرة، الآية: 35.

([4] سورة الأعراف، الآية: 143.

([5] سورة التوبة، الآية: 6.

([6] سورة الفرقان، الآية: 1.

([7] سورة الأنعام، الآية: 155.

[8] سورة الأعراف،الآية:54.

[9] سورة الشورى،الآية:52.

ومعنى منه بدأ أن الله تكلم به ابتداء ومعنى إليه يعود أنه يرجع إلى الله في آخر الزمــــــــان حينما يرفع من المصاحف والصـدور وتكريمـاً له إذا اتخـذه النـاس هـزواً ولهواً.

السنة:

السـنة لغـة: الطريقة ،وسـنة النـبي صـلى الله عليه وسلم ما شرعه من قوله أو فعله أو إقراره خـبراً كـانت أو طلباً والإيمـان بما فيها واجب كالإيمـان بما جـاء في القرآن سواء في أسـماء الله وصـفاته أو في غيرها لقوله تعـالى:) وما آتـاكم الرسـول فخـذوه ([1]. وقوله تعالى:) من يطع الرسول فقد أطاع الله ([2].

حديث النزول:

حديث النزول هو قوله صلى الله عليه وسلم: " يــنزل ربنا إلى الســـماء الـــدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقــول: من يــدعوني فأســتجيب له من يســألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له".

ومعـــنى الـــنزول عند أهل الســـنة أنه يـــنزل بنفسه ســبحانه نــزولاً حقيقيــاً يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو.

ومعناه عند أهل التأويل نـزول أمـره، ونـرد عليهم بما يأتي:

1. 1. أنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف.

2. 2. أن أمر الله ينزل كل وقت وليس خاصاً بثلث الليل الآخر.

3. 3. أن الأمر لا يمكن أن يقـــول: من يـــدعوني فأستجيب له.. إلخ.

ونزوله سبحانه إلى السماء الـدنيا لا ينـافي علـوه لأن الله سـبحانه ليس كمثله شـيء ولا يقـاس نزوله بـنزول مخلوقاته.

---

[1] سورة الحشر، الآية: 7.

[2] سورة النساء، الآية: 80.

الفرح والضحك والعَجَب:

الفـرح ثـابت لله لقوله صـلى الله عليه وسـلم: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته.. " الحديث.

وهو فرح حقيقي يليق بالله ولا يصح تفسيره بالثواب لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف.

والضـحك ثـابت لله تعـالى: لقوله صـلى الله عليه وسـلم " يضـحك الله إلى رجلين يقتل أحـدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة".

وفسره أهل السنة والجماعة بأنه ضـحك حقيقي يليق بالله. وفسـره أهل التأويل بـالثواب ونـرد عليهم بأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف وصورتها أن كافراً يقتل مسـلماً في الجهـاد ثم يسـلم ذلك الكـافر ويمـوت على الإسلام فيدخلان الجنة كلاهما.

والعجب ثـابت لله تعـالى: لقـول الرسـول صـلى الله عليه وسلم: " عجب ربنا من قنوط عباده وقـرب خـيره " الحديث.

والممتنع على الله من العَجَب هو ما كان سببه الجهل بطـرق المتعجب منه لأن الله لا يخفى عليه شـيء أما العَجَب الـذي سـببه خـروج الشـيء عن نظـائره أو عما ينبغي أن يكون عليه فإن ذلك ثابت لله.

وقد فسـره أهل السـنة بأنه عَجَب حقيقي يليق بالله وفسـره أهل التأويل بثـواب الله أو عقوبته ويـرد عليهم بأنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف.

القدم:

القدم ثابتة لله تعالى: لقوله صلى الله عليه وسـلم: " جهنم يُلقى فيها وهي تقـول: هل من مزيد حـتى يضع رب العـزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فيـنزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط".

وفسر أهل السـنة الرِجْل والقـدم بأنها حقيقية على الوجه اللائق بالله.

وفسر أهل التأويل الرجل بالطائفة أي الطائفة الذين يضعهم الله في النار والقدم بالمقدمين إلى النار وأرد عليهم بأن تفسيرهم مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليل.

حديث رقية المريض وحديث الجارية التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين الله قالت :في السماء:

في حديث رقبة المريض من صفات الله إثبات ربوبية الله وإثبات علوه في السماء وتقدس أسمائه عن كل نقص وأن له الأمر في السماء والأرض فحكمه فيهما نافذ وإثبات الرحمة وإثبات الشفاء لله وهو رفع المرض.

وفي حديث الجارية من صفات الله: إثبات المكان لله وأنه في السماء.

الدليل على أن الله قبل وجه المصلي:

الدليل قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه.. " الحديث.

وهذه المقابلة ثابتة لله حقيقة على الوجه اللائق به ولا تنافي علوه والجمع بينهما من وجهين:

1. **1. أن الاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق كما لو كانت الشمس عند طلوعها فإنها قبل وجه من استقبل المشرق وهي في السماء فإذا جاز اجتماعهما في المخلوق فالخالق أولى.**
2. **2. أنه لو لم يمكن اجتماعهما في حق المخلوق فلا يلزم أن يمتنع في حق الخالق لأن الله ليس كمثله شيء.**

الدليل على قرب الله:

الدليل قوله تعالى:) وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ([1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما تدعون سميعاً قريباً".

([1] سورة البقرة، الآية: 186.

وهو قـرب حقيقي يليق بالله تعـالى ولا ينـافي علـوه لأنه تعالى: بكل شيء محيط ولا يقــاس بخلقه لأنه ليس كمثله شيء.

الدليل على أن الله يُرى:

الــدليل على رؤية الله قوله تعـالى:) للــذين أحســنوا الحســنى وزيــادة ([1]. فقد فسر النــبي صــلى الله عليه وســلم الزيــادة بــالنظر إلى وجه الله وقوله صــلى الله عليه وسـلم: " إنكم سـترون ربكم كما تـرون القمر ليلة البدر لا تضـامون في رؤيته فـإن اسـتطعتم أن لا تُغلَبـوا على صـــلاة قبل طلـــوع الشـــمس وصـــلاة قبل غروبها فافعلوا".

والتشـبيه في هـذا الحـديث للرؤية بالرؤية لا للمـرئي بـــالمرئي لأن كـــاف التشـــبيه داخلة على فعل الرؤية المـؤول بالمصـدر ولأن الله ليس كمثله شـيء والمـراد بالصلاتين المذكورتين الفجر والعصر.

ورؤية الله في الآخـــرة لا في الـــدنيا لقوله تعـــالى: لموسى حين سأله رؤيته:) لن تـــراني ([2]. وقوله صـــلى الله عليه وســـلم " واعلمـــوا أنكم لن تـــروا ربكم حـــتى تموتوا ".

ورؤية الله لا تشــمل الكفــار لقوله تعـالى:) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ([3].

وفسر أهل الســـــنة هـــــذه الرؤية برؤية العين للأدلة الآتية:

أولاً: أن الله أضـــاف النظر إلى الوجه الـــذي هو محل العين فقال:) وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ([4].

ثانيا: أنه جاء في الحديث " إنكم سترون ربكم عياناً ".

([1]) سورة يونس، الآية: 26.

([2]) سورة الأعراف، الآية: 143.

([3]) سورة المطففين، الآية: 15.

([4]) سورة القيامة، الآيتان: 22-23.

وفسـره أهل التأويل برؤية الثـواب أي إنكم سـترون ثواب ربكم.

وأرد عليهم بأنه خلاف ظـاهر اللفظ وإجمـاع السـلف وليس عليه دليل.

مذهب الجهمية والأشعرية والكلاَّبية في كلام الله:

مذهب الجهمية في كلام الله أنه خلق من مخلوقاته لا صـفة من صـفاته وإنما أضـافه الله إليه إضـافة تشـريف وتكريم كما أضاف إليه البيت والناقة في قوله :) وطهر بيتي ([5]. وقوله :)هذه ناقة الله ([6].

ومذهب الأشعرية أن الكلام صـفة من صـفاته لكنه هو المعنى القائم بالنفس وهذه الحروف مخلوقة لتعبر عنه والكلابية يقولون كقول الأشعرية إلا أنهم سموا الألفاظ حكاية لا عبـارة. وعلى مـذهبيهما ليس كلام الله بحـرف وصوت وإنما هو المعنى القائم بنفسه.

هذه الأمة وسط بين الأمم:

الدليل قوله تعالى :) وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ([1]. وقوله): كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس([2] ومثـال كونها وسطاً في العبـادات رفع الله عن هـذه الأمة من الحـرج والمشـقة اللـذين كانا على من قبلهما فهـذه الأمة إذا عـدموا المـاء تيممـوا وصـلّوا في أي مكـان بينما الأمم الأخرى لا يصـلون حـتى يجـدوا المـاء ولا يصـلون إلا في أمكنة معينة.

ومثال كونها وسـطاً في غـير العبـادات القصـاص في القتل كان مفروضاً على اليهـود وممنوعـاً عند النصـارى ومخيراً بينه وبين العفو أو الدية عند هذه الأمة.

فِرَق هذه الأمة:

([5] سورة الحج، الآية: 26.

([6] سورة الأعراف، الآية: 73.

([1] سورة البقرة، الآية: 143.

([2] سورة آل عمران، الآية: 110.

فِرَق هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة والناجي منها من كــان على مثل ما عليه النــبي صــلى الله عليه وســلم وأصــحابه وكلها في النــار إلا الناجية لقوله صــلى الله عليه وسلم: " افترقت اليهود على إحدى وسـبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هــذه الأمة على ثلاث وســبعين فرقة كلها في النــار إلا واحدة. قالوا : من هي يا رسول الله قال: من كـان على مثل ما أنا عليه وأصحابي".

الأصول التي كان أهل السنة
وسطاً فيها بين فرق الأمة

هي خمسة:

الأول: أسـماء الله وصـفاته. أهل السـنة وسط فيها بين أهل التعطيل وأهل التمثيل لأن أهل التعطيل ينكـرون صـفات الله وأهل التمثيل يثبتونها مع التمثيل وأهل السنة يثبتونها بلا تمثيل.

الثاني: القضاء والقدر الذي عـبر عنه المؤلف بأفعـال الله فأهل السـنة وسط فيه بين الجبرية والقدرية لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولـون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيـار والقدرية ينكـرون قضـاء الله في أفعال العبد ويقولون: إن العبد قادر مختـار لا يتعلق فعله بقضـاء الله وأهل السـنة يثبتـون قضـاء الله في أفعال العبد ويقولون: إن له قدرة واختياراً أودعهما الله فيه متعلقين بقضاء الله.

الثـالث: الوعيد بالعـذاب فأهل السـنة وسط فيه بين الوعيدية وبين المرجئة لأن الوعيدية يقولـون: فاعل الكبيرة مخلد في النار والمرجئة يقولون: لا يـدخل النـار ولا يستحق ذلك وأهل السـنة يقولـون: مسـتحق لـدخول النار دون الخلود فيها.

الرابع: أسماء الإيمان والدين: فأهل السـنة وسط فيه بين المرجئة من جهة وبين المعتزلة والحرورية من جهة لأن المرجئة يسمون فاعل الكبيرة مؤمنـاً كامل الإيمـان والمعتزلة والحرورية يسـمونه غـير مـؤمن لكن المعتزلة يقولـون :لا مـؤمن ولا كـافر في منزلة بين منزلـتين والحرورية يقولون: إنه كـافر وأهل السـنة يقولـون: إنه مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

الخامس: أصحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم فأهل السنة وسط فيه بين الروافض والخـوارج لأن الـروافض بـالغوا في حب آل النـبي صـلى الله عليه وسـلم وغلـوا فيهم حتى أنزلوهم فوق مـنزلتهم والخـوارج يبغضـونهم

ويسبونهم وأهل السنة يحبون الصحابة جميعهم وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها من غير غلو ولا تقصير.

طوائف المبتدعة الذين أشار إليهم

المؤلف في هذه الأصول السابقة:

أشار المؤلف إلى طوائف من أهل البدع.

أولاً: الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان الـذي أخذ التعطيل عن الجعد بن درهم وقتل في خراسـان سـنة 128 هـ. ومـذهبهم في الصـفات إنكـار صـفات الله وغلاتهم ينكـرون حـتى الأسـماء ولـذلك سـموا بالمعطلة ومـذهبهم في أفعـال العبـاد أن العبد مجبـور على عمله ليس له قدرة ولا اختيار ومن ثم سموا جبرية. ومـذهبهم في الوعيد وأسـماء الإيمـان والـدين أن فاعل الكبـيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يدخل النار ولذلك سموا مرجئة.

ثانياً: المعتزلة وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعـتزل مجلس الحسن البصري حين كان الحسن يقـرر أن فاعل الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان فأعتزله واصل وجعل يقـرر أن فاعل الكبـيرة في منزلة بين منزلـتين ومـذهبهم في الصفات إنكار صفات الله كالجهمية ومذهبهم في أفعال العبـاد أن العبد مسـتقل بفعله ويفعل بـإرادة وقـدرة مسـتقلاً عن قضـاء الله وقـدره عكس الجهمية ولـذلك سموا قدرية ومذهبهم في الوعيد أن فاعل الكبيرة مخلد في النـار عكس الجهمية القـائلين بأنه لا يـدخل النـار ولـذلك سـموا الوعيدية ومـذهبهم في أسـماء الإيمـان والـدين أن فاعل الكبـيرة في منزلة بين منزلـتين ليس مؤمنـاً ولا كـافراً عكس الجهمية القـائلين بأنه مـؤمن كامل الإيمان ولذلك سموا أصحاب المنزلة بين منزلتين.

ثالثـاً: الخـوارج: سـموا بـذلك لخـروجهم على إمـام المسـلمين ويقـال لهم: الحرورية نسـبة إلى حـروراء موضع بـالعراق قـرب الكوفة خرجـوا فيه على علي بن أبي طالب كانوا من أشد الناس تـديناً في الظـاهر حـتى قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لأصـحابه: " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصـيامه مع صـيامهم يقـرؤون القـرآن لا يجـاوز حنـاجرهم يمرقـون من الإسـلام كما

يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم إلى يوم القيامة".

ومذهبهم في الوعيد أن فاعل الكبيرة مخلد في النـار كـافر يحل دمه وماله ومن ثم اسـتباحوا الخـروج على الأئمة إذا فسقوا.

رابعاً: الروافض: ويقال لهم: الشيعة الذين يغلون في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويفضلون علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جميع الصحابة ومنهم من يفضـله على النـبي صـلى الله عليه وسـلم ومنهم من يجعله ربا وسـموا شـيعة لتشـيعهم لآل الـبيت وسـموا روافض لأنهم رفضـوا زيد بن علي بن الحسـين بن على بن أبي طـالب حين سـألوه عن أبي بكر وعمر فـأثنى عليهما وقـال: هما وزيـرا جـدي يعـني النـبي صـلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنه ورفضوه.

اليوم الآخر:

اليوم الآخر يوم القيامة ويدخل في الإيمـان به كل ما أخـبر به النـبي صـلى الله عليه وسـلم مما يكـون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وغير ذلك والإيمان به واجب ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة.

فتنة القبر:

فتنة القـبر سـؤال الملكين الميت عن ربه ودينه ونبيه فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثـابت فيقـول المـؤمن: ربي الله وديـني الإسـلام ونبـيي محمد وأما المرتـاب أو الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري سـمعت النـاس يقولـون شيئاً فقلته.

والفتنة عامة لكل ميت إلا الشـهيد ومن مـات مرابطـاً في سبيل الله وكذلك الرسل لا يُسألون لأنهم المسؤول عنهم.

واختلف في غير المكلف الصغير فقيل يسـأل لعمـوم الأدلة وقيل :لا لعـدم تكليفـه. واسم الملكين منكر ونكيرتقدم في غير هذا الموضع أن هذين الأسـمين غـير ثابتين.

قول أهل السنة في نعيم القبر وعذابه:

قولهم فيه أنه حق ثابت لقوله تعالى: في آل فرعون) النارُ يعرضون عليها غدوًّا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ([1]. وقوله في المؤمنين:) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ([2].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: " في الكافر حين يُسأل في قبره فيجيب فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار وقوله في المؤمن إذا سئل في قبره فأجاب فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة ".

والعذاب أو النعيم على الروح فقط وقد يتصل بالبدن أحياناً والعذاب على الكافرين مستمر أما على المؤمنين فبحسب ذنوبهم والنعيم للمؤمنين خاصة والظاهر استمراره.

التوفيق بين ما ثبت من توسيع القبر للمؤمن وتضييقه على الكافر مع أنه لو فتح لوجد بحاله:

التوفيق من وجهين:

الأول: أن ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا لأنه لا يعارض الشرع بالعقل لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

الثاني: أن أحوال القبر من أمور الآخرة التي اقتضت حكمة الله أن يحجبها عن حواس الخلق وعقولهم امتحاناً لهم ولا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا لتباين ما بين الدنيا والآخرة.

القيامة:

---

(1) سورة غافر، الآية: 46.

(2) سورة فصلت، الآية: 30.

القيامة صـغرى كـالموت فكل من مـات فقد قـامت قيامته وكبرى وهي المقصودة هنا وهي قيام الناس بعد البعث للحساب والجزاء وسميت بذلك لقيام النـاس فيها وقيام العدل وقيام الأشهاد.

ودليل ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتـاب قوله تعـالى:) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لـرب العـالمين ([3].

ومن أدلة السـنة قوله صـلى الله عليه وسـلم: " إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً".

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون وجميع أهل الأديان السماوية على إثبات يوم القيامة فمن أنكره أو شك فيه فهو كافر.

وللقيامة علامـات تسـمى الأشـراط كخـروج الـدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشـمس من مغربها وجعلت لها هـذه الأشـراط لأنها يـوم عظيم وهـام فكـان لها تلك المقدمات.

حشر الناس:

يحشر الناس يوم القيامة حفاة غير منتعلين عراة غير مكتسين غرلاً غير مختونين لقوله تعالى:) كما بدأنا أول خلق نعيده ([1]. وقـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً".

الأشياء التي ذكر المؤلف أنها تكون يوم القيامة:

أولًا: دنو الشـمس من الخلق بقـدر ميل أو ميلين فيعرق النـاس بقـدر أعمـالهم منهم من يصل عرقه إلى كعبيه ومنهم من يلجمه ومنهم من يكـون بين ذلك ومن الناس من يَسْلَم من الشمس فيظلهم الله في ظله يـوم لا ظل إلا ظله مثل الشـاب إذا نشأ في طاعة الله

([3] سورة المطففين، الآيات: 4-6.

([1] سورة الأنبياء، الآية: 104.

*سورةالمؤمنون الآيتان :102-103.

والرجل المعلق قلبه بالمســاجد. ثانيــاً: المــوازين جمع ميزان يضعها الله لتوزن فيها أعمـال العبـاد)فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحـــــــون .ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون(*.

والميزان حقيقي له كفتـان خلافـاً للمعتزلة القـائلين بأنه العدل لا ميزان حقيقي.

وقد ذكر في القـرآن مجموعـاً وفي السـنة مجموعـاً ومفرداً فقيل: إنه مـيزان واحد وجمع باعتبـار المـوزون وقيل :متعــدد بحسب الأمم أو الأفــراد وأفــرد باعتبــار الجنس.

ثالثاً: نشر الدواوين أي فتحها وتوزيعها وهي صـحائف الأعمــال الــتي كتبتها الملائكة على الإنســان قــال الله تعالى:) وكل إنسان ألزمناه طـائره في عنقه ونخـرج له يــوم القيامة كتابــاً يلقــاه منشــوراً. اقــرأ كتابك كفى بنفسك اليــوم عليك حســيبا ([2]. فآخذ كتابه بيمينه وهو المــؤمن وآخذ كتابه بشــماله أو من وراء ظهــره لقوله تعــالى:) فأما من أوتي كتابه بيمينــه. فســوف يحاسب حساباً يسـيراً. وينقلب إلى أهله مسـروراً. وما من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو ثبـوراً. ويصـلى سـعيراً ([3]. وفي آية أخرى) وأما من أوتي كتابه بشماله فيقــول يا ليتني لم أوت كتابيه([4]. والجمع بين هذه والتي قبلها إما باختلاف الناس وإما بكون الذي يأخذها بشــماله تخلع يده من وراء ظهره.

رابعـاً: الحسـاب وهو محاسـبة الخلائق على أعمـالهم وكيفيته بالنسبة للمؤمن أن الله يخلو به فيقــرره بذنوبه ثم يقــول: قد ســترتها عليك في الــدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وبالنسبة للكافر أنه يوقف على عمله ويقرر به ثم ينــادى على رؤوس الأشــهاد .هــؤلاء الــذين كــذبوا على ربهم) ألا لعنة الله على الظالمين(.(1)

([2] سورة الإسراء، الآيتان: 13-14.

([3] سورة الانشقاق، الآيات: 7-12.

([4] سورة الحاقة، الآية: 25.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقـــوق الله الصـــلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء.

ومن الناس من يـدخل الجنة بلا حسـاب وهم الـذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ومنهم عكّاشة بن محصن.

خامساً: الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسـلم في عرصــات القيامة أي مواقفها يــرده المؤمنــون من أمته ومن شــرب منه لم يظمأ أبــداً طوله شــهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم السـماء ومـاؤه أشد بياضـاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك.

ولكل نبي حوض يرده المؤمنون من أمته لكن الحـوض الأعظم حــوض النـبي صـلى الله عليه وسـلم وقد أنكر المعتزلة وجـود الحـوض وقـولهم مـردود بما تـواترت به الأحاديث من إثباته.

سادســاً: الصــراط وهو الجسر المنصــوب على جهنم أدق من الشـــعر وأحد من الســـيف عليه كلاليب تخطف النـــاس بأعمـــالهم يمـــرون عليه على قـــدر أعمـــالهم كالطرف، وكالبرق، وكـالريح، وكأجاويد الخيل والركـاب. ومنهم من يخطف فيلقى في النـار فيعـذب بقـدر عمله فإذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنــار فيقتص لبعضــهم من بعض قصاصــاً تــزول به الأحقــاد والبغضاء ليدخلوا الجنة إخواناً متصافين.

سابعاً : الشفاعة: وهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة ولا تكـون إلا بـإذن الله للشـافع، ورضـاه عن المشفوع له، وتنقسم إلى قسمين خاصة بـالنبي صـلى الله عليه وسلم وعامة له ولغيره من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فالخاصة بــالنبي صــلى الله عليه وســلم ذكر المؤلف منها نوعين:

الأول: الشـــــفاعة العظمى حيث يشــــفع في أهل الموقف إلى الله ليقضي بينهم بعد أن تطلب الشــفاعة من آدم فنوح فـإبراهيم فموسى فعيسى عليهم الصـلاة

والسلام فلا يشفعون حتى تنتهي إلى النـبي صـلى الله عليه وسـلم فيشـفع فيقبل الله منه وهـذا من المقـام المحمـود الـذي وعـده الله بقولـه: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [1].

الثـاني: شـفاعته في أهل الجنة أن يـدخلوها. وأما العامة فذكر المؤلف منها نوعين:

الأول: الشفاعة فيمن استحق النـار من المؤمـنين أن لا يدخلها.

الثـاني: الشـفاعة فيمن دخلها منهم أن يخـرج منها وهـذان النوعـان ينكرهما المعتزلة والخـوارج بنـاء على قـولهم: إن فاعل الكبـيرة مخلد في النـار فلا تنفعه الشفاعة.

ويخرج الله أقواماً من النـار بغـير شـفاعة بل بفضـله ورحمته.

ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الـدنيا فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقـدر واجب ومنزلته من الـدين أنه أحد أركـان الإيمـان السـتة لقـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم الإيمـان أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. ومعنى الإيمـان بالقضـاء والقـدر أن تـؤمن بـأن كل ما في الكـون من موجـودات ومعـدومات عامة وخاصة فإنه بمشـيئة الله وخلقه وتعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك وما أخطـأك لم يكن ليصيبك.

درجات الإيمان بالقضاء والقدر:

للإيمان بالقدر درجتان كل درجة تتضمن شيئين:

---

[1] سورة هود ، الآية: 18.

[2] سورة الإسراء، الآية: 79.

فالدرجة الأولى تتضـــمن العلم والكتابة ودليلها قوله تعالى:) ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ([1].

فـالعلم أن تـؤمن بعلم الله المحيط بكل شـيء جملة وتفصيلاً.

والكتابة هي أن تؤمن بأن الله كتب مقـادير كل شـيء في اللوح المحفوظ بحسب علمه وهي أنواع.

النـوع الأول: الكتابة في اللـوح المحفـوظ قبل خلق السـموات والأرض بخمسـين ألف سـنة ودليلها قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لما خلق القلم قال لـه: اكتب قال :رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كـائن إلى يوم القيامة".

النـوع الثـاني: الكتابة العمرية وهي ما يكتبه الملك الموكل بالأرحـام على الجـنين في بطن أمه إذا تم له أربعة أشـهر فيـؤمر الملك بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه الثابت في الصحيحين وهـذه الدرجة ينكرها غلاة القدرية قديماً.

وأما الدرجة الثانية فتتضـمن شـيئين المشـيئة والخلق ودليل المشـيئة قوله تعـالى:) ويفعل الله ما يشـاء ([2]. ودليل الخلق قوله تعالى:) الله خالق كل شيء ([2].

فأما المشيئة فهي أن تـؤمن بمشـيئة الله العامة وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن سـواء في ذلك أفعاله أو أفعـال الخلق كما قـال تعـالى: في أفعالـه:) ولو شـئنا لآتينا كل نفس هداها ([1]. وقـال في أفعـال خلقه) ولو شاء ربك ما فعلوه ([2].

---

[1] سورة الحج، الآية: 70.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 27.

[2] سورة الزمر، الآية: 62.

[1] سورة السجدة، الآية: 13.

[2] سورة الأنعام، الآية: 112.

وأما الخلق فهو أن تــؤمن أن الله خــالق كل شــيء سواء من فعله أو أفعال عباده.

دليل الخلق في فعله قوله تعالى:) إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في سـتة أيـام ([3]. ودليل الخلق في أفعال العباد قوله تعالى:) والله خلقكم وما تعملون ([4].

ووجه كونه خالقاً لأفعال العباد أن فعل العبد لا يصـدر إلا عن إرادة وقدرة وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله.

مشيئة العبد وقدرته:

للعبد مشيئة وقدرة لقوله تعالى:) فـأتوا حـرثكم أنى شئتم ([5]. وقوله:) فاتقوا الله ما استطعتم([6]. فـأثبت الله للعبد مشــيئة واســتطاعة وهي القــدرة إلا أنهما تابعتان لمشيئة الله تعـالى: لقوله تعـالى:)وما تشـاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ([7].

من ضل في هذه الدرجة وهي المشيئة والخلق :

ضل فيها طائفتــان: الأولى: القدرية حيث زعمــوا أن العبد مسـتقل بإرادته وقدرته ليس لله في فعله مشـيئة ولا خلق.

الثانية: الجبرية حيث زعموا أن العبد مجبور على فعله ليس له فيه إرادة ولا قدرة.

والــرد على الطائفة الأولى القدرية بقوله تعــالى:) وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ([8]. وقوله:)ولو شـاء ربك ما فعلوه ([9].

([3] سورة الأعراف، الآية: 54.

([4] سورة الصافات، الآية: 96.

([5] سورة البقرة، الآية: 223.

([6] سورة التغابن، الآية :16.

([7] سورة التكوير، الآية: 29.

([8] سورة التكوير، الآية: 29.

([9] سورة الأنعام، الآية: 112.

والـــرد على الطائفة الثانية الجبرية بقوله تعـــالى: ﴿ لمن شـاء منكم أن يسـتقيم ﴾[10]ــ ﴿ فـأتوا حـرثكم أنى شئتم ﴾[11]. فأثبت للإنسان مشيئة وقدرة.

الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل:

لا يجوز الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل لأن الصحابة رضي الله عنهم قـالوا: يا رسـول الله أفلا نتكل على الكتاب الأول وندع العمل، فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: " اعملـوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السـعادة فييسـرون لعمل أهل السـعادة وأما أهل الشـقاوة فييسـرون لعمل أهل الشـقاوة " وتلا قوله تعـالى: ﴿ فأما من أعطى واتقى. وصـدق بالحسـنى. فسنيسـره لليسـرى. وأما من بخل واسـتغنى. وكـذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى ﴾[1].

مجوس هذه الأمة:

مجـوس هـذه الأمة القدرية الـذين يقولـون: إن العبد مستقل بفعله.

سـموا بـذلك لأنهم يشـبهون المجـوس القـائلين بـأن للعـالم خـالقين النـور يخلق الخـير والظلمة تخلق الشر وكـذلك القدرية قـالوا: إن للحـوداث خـالقين فـالحوادث الــتي من فعل العبد يخلقها العبد والــتي من فعل الله يخلقها الله.

الجبرية يخرجون عن أحكام الله حِكَمَها ومصالحها فما وجه ذلك:

وجه ذلك أن الجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختياراً وفعله بدون اختيار كلاهما عنـدهم مجـبر عليه كما سـبق وإذا كــان كــذلك صــار ثوابه على الطاعة وعقابه على المعصية لا حكمة له إذ الفعل جاء بدون اختياره وما كـان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثـواب ولا يـذم عليه فيستحق العقاب.

---

[10] سورة التكوير، الآية: 28.

[11] سورة البقرة، الآية: 223.

[1] سورة الليل، الآيات: 5-10.

الإيمان:

الإيمـــان لغة التصـــديق، واصـــطلاحاً: قـــول القلب واللسان وعمل القلب والجـوارح فقـول القلب تصـديقه وإقـــــــــراره وعمل القلب إرادته وتوكله ونحو ذلك من حركاته وقـــول اللســـان نطقه وعمل الجـــوارح الفعل والترك.

والدليل على أن الإيمـان يشـمل ذلك كله قـول النـبي صلى الله عليه وسلم: الإيمان أن تــؤمن بالله وملائكته.. الخ. وهـذا قـول القلب. وقوله صـلى الله عليه وسـلم: الإيمان بضع وسـبعون شـعبة أعلاها قـول: لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحيـــــاء شـــــعبة من الإيمان.

فقـول: لا إله إلا الله قـول اللسـان وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح والحياء عمل القلب.

زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص لقوله تعالى:) ليزدادوا إيماناً مع إيمـانهم ([2]. وقـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم في النســـاء:"ما رأيت من ناقصـــات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن".

وسـبب زيادته الطاعة وهي امتثـال أمر الله واجتنـاب نهيه وسبب نقصه معصية الله بالخروج عن طاعته.

الكبيرة:

الكبيرة كل ذنب قرن بعقوبة خاصة كـالزنى والسـرقة وعقوق الوالدين والغش ومحبة السوء للمسـلمين وغـير ذلك وحكم فاعلها من حيث الاسم أنه مـــؤمن نـــاقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وليس خارجاً من الإيمـان لقوله تعـالى: في القاتل عمـداً :) فمن عفي له من أخيه شـــيء فاتبـــاع بـــالمعروف ([1]. فجعل الله المقتول أخاً للقاتل ولو كان خارجاً من الإيمـان ما كـان المقتول أخاً له ولقوله تعالىفي الطائفتين المقتتلتين:)

---

[2] سورة الفتح، الآية: 4.

[1] سورة البقرة، الآية: 178.

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصـلحوا بينهما ([2]. إلى قوله:) إنما المؤمنون إخوة فأصـلحوا بين أخـويكم ([3]. فجعل الله الطائفتين المقتتلتين مع فعلهما الكبـيرة إخوة للطائفة الثالثة المصلحة بينهما.

وحكم فاعل الكبـــيرة من حيث الجـــزاء أنه مســـتحق للجزاء المـرتب عليها ولا يخلد في النـار وأمـره إلى الله إن شاء عذبه بما يستحق وإن شاء غفر له لقوله تعـالى:) إن الله لا يغفر أن يشـــــرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ([4].

الذي خالف أهل السنة في فاعل الكبيرة:

خالفهم في ذلك ثلاث طوائف:

1. **المرجئة: قـالوا: إن فاعل الكبـيرة مـؤمن كامل الإيمان ولا عقاب عليه.**
2. **الخوارج: قالوا :إنه كافر مخلد في النار.**
3. **المعتزلة: قالوا :لا مؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو مخلد في النار .**

هل الفاسق يدخل في اسم الإيمان.

الفاسق لا يدخل في اسم الإيمـان المطلق أي الكامل كما في قوله تعالى:) إنما المؤمنـون الـذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلـون ([5]. وإنما يـدخل في مطلق الإيمـان أي في أقل ما يقع عليه الاسم كما في قوله تعـــــــالى:) فتحرير رقبة مؤمنة ([6]. فـــالمؤمن هنا يشـــمل الفاسق وغيره.

الصحابي وموقف أهل السنة من الصحابة:

([2] سورة الحجرات، الآية: 9.

([3] سورة الحجرات، الآية: 10.

([4] سورة النساء، الآية: 48.

([5] سورة الأنفال، الآية: 2.

([6] سورة النساء، الآية: 92.

الصحابي من اجتمع بالنبي صلىالله عليه وسلم أو رآه ولو لحظة مؤمناً به ومـات على ذلك وموقف أهل السـنة من الصـــحابة محبتهم والثنـــاء عليهم بما يســـتحقون وسـلامة قلـوبهم من البغضـاء والحقد عليهم وسـلامة ألسـنتهم من قـول ما فيه نقص أو شـتم للصـحابة كما وصفهم الله بقوله:) والذين جـاؤوا من بعـدهم يقولـون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سـبقونا بالإيمـان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للـــذين آمنـــوا ربنا إنك رؤوف رحيم([1]**. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تسـبوا أصـحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ".**

اختلاف مراتب الصحابة رضي الله عنهم:

تختلف مراتب الصحابة لقوله تعالى:) لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الـذين أنفقـوا من بعد وقـاتلوا وكلاً وعد الله الحسـنى ([2]**.**

وسـبب اختلاف مـراتبهم قـوة الإيمـان والعلم والعمل الصالح والسبق إلى الإسلام وأفضلهم جنساً المهاجرون ثم الأنصار لأن الله قدم المهاجرين عليهم فقال تعـالى:) لقد تـاب الله على النـبي والمهـاجرين والأنصـار ([3]**. ولأنهم جمعـــوا بين الهجـــرة من ديـــارهم وأمـــوالهم والنصرة.**

وأفضل الصـحابة عينـاً أبو بكر ثم عمر بالإجمـاع ثم عثمان ثم علي على رأي جمهور أهل السنة الذي أستقر عليه أمـرهم بعد ما وقع الخلاف في المفاضـلة بين علي وعثمان فقدم قوم عثمان وسـكتوا وقـدم قـوم عليـاً ثم عثمان وتوقف قوم في التفضيل.

ولا يضلل من قال بأن عليـاً أفضل من عثمـان لأنه قد قال به البعض من أهل السنة.

---

(1) سورة الحشر، الآية: 10.

(2) سورة الحديد، الآية: 10.

(3) سورة التوبة، الآية:117.

الخلفاء الأربعة:

الخلفــــاء الأربعة هم: أبو بكر وعمر وعثمــــان وعلي وترتيبهم في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

ويضلل من خالف في خلافة واحد منهم أو خـالف في ترتيبهم لأنه مخالف لإجماع الصحابة وإجماع أهل السنة.

وثبتت خلافة أبي بكر بإشــارة من النــبي صــلى الله عليه وسلم إليها حيث قدمه في الصلاة وفي إمارة الحج وبكونه أفضل الصحابة فكان أحقهم بالخلافة.

وثبتت خلافة عمر بعهد أبي بكر إليه بها وبكونه أفضل الصــحابة بعد أبي بكر وثبتت خلافة عثمــان باتفــاق أهل الشورى عليه.

وثبتت خلافة علي بمبايعة أهل الحَل والعقد له وبكونه أفضل الصحابة بعد عثمان.

أهل بدر:

أهل بدر هم الذين قاتلوا في غزوة بدر من المسلمين وعــددهم ثلاثمائة وبضــعة عشر رجلاً والفضــيلة الــتي حصــلت لهم أن الله اطلع عليهم وقــال: " اعملــوا ما شـئتم فقد غفـرت لكم " ومعنـاه أن ما يحصل منهم من المعاصي يغفره الله بسبب الحسنة الكبـيرة الـتي نالوها في غزوة بدر ويتضمن هذا بشارة بأنه لن يرتد أحد منهم عن الإسلام.

أهل بيعة الرضوان:

أهل بيعة الرضوان هم الذين بايعوا النــبي صـلى الله عليه وسلم عام الحديبية على قتـال قـريش وألا يفـروا حتى الموت وسببها ما أشيع من أن عثمان قتلته قـريش حين أرســله النــبي صــلى الله عليه وســلم إليهم للمفاوضة. وسـميت بيعة الرضـوان لأن الله رضي عنهم بها وعددهم نحو ألف وأربعمائة، والفضيلة الـتي حصـلت لهم هي:

1. رضي الله عنهم لقوله تعـالى:) لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة([1].

2. سلامتهم من دخول النـار لأن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أخـبر أنه لا يـدخل النـار أحد بـايع تحت الشجرة.

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم:

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته وكل من تحرم عليه الزكاة من أقاربه المؤمنين كـآل علي وجعفر والعبـاس ونحـوهم والـواجب نحـوهم المحبة والتوقـير والاحترام لإيمانهم بالله ولقرابتهم من النبي صـلى الله عليه وسـلم ولتنفيذ الوصـية الـتي عهد بها رسـول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " أذكركم الله في أهل بيـتي " ولأن ذلك من كمـال الإيمـان لقوله صـلى الله عليه وسـلم: " والله لا يؤمنـون حـتى يحبـوكم لله ولقرابتي ".

والذين ضلوا في أهل البيت طائفتان.

الأولى: الـروافض حيث غلـوا فيهم وأنزلـوهم فـوق منزلتهم حتى ادعى بعضهم أن علياً إله.

الثانية: النواصب وهم الخـوارج الـذين نصـبوا العـداوة لآل البيت وآذوهم بالقول وبالفعل.

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم:

زوجـات النـبي صـلى الله عليه وسـلم أفضل نسـاء الأمة لمكـانتهن عند رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ولأنهن أمهات المؤمنين ولأنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة ولطهارتهن من الـرجس ولـذلك يكفر من قذف واحدة منهن لأن ذلك يستلزم نقص النبي صلى الله عليه وسلم وتدنيس فراشه وأفضـلهن خديجة وعائشة وكل واحـدة منهما أفضل من الأخـرى من وجـه، فمزية خديجة أنها أول من آمن بالرسـول صـلى الله عليه وسـلم وأنها عاضـدته على أمـره في أول رسـالته وأنها أم أكـثر أولاده بل كلهم إلا إبـراهيم وأن لها منزلة

---

[1] سورةالفتح، الآية: 18.

عالية عنده فكـان يـذكرها دائمـاً ولم يـتزوج عليها حـتى ماتت.

ومزية عائشة: حسن عشـرتها مع النـبي صـلى الله عليه وسـلم في آخر أمـره وأن الله برأها في كتابه مما رماها به أهل الإفك وأنـزل فيها آيـات تتلى إلى يـوم القيامة وأنها حفظت من هـدي النـبي صـلىالله عليه وسلم وسنته ما لم تحفظه امـراة سـواها وأنها نشـرت العلم الكثير بين الأمة وأن النبي صـلى الله عليه وسـلم لم يتزوج بكـراً سـواها فكـانت تربيتها الزوجية على يـده وأن النـبي صـلىالله عليه وسـلم قـال فيهـا: " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

موقف أهل السـنة في الخلاف والفتن الـتي حصـلت بين الصحابة رضي الله عنهم:

موقفهم في ذلك أن ما جـرى بينهم فإنه باجتهـاد من الطـرفين وليس عن سـوء قصد والمجتهد إن أصـاب فله أجـران وإن أخطأ فله أجر واحد وليس ما جـرى بينهم صـادراً عن إرادة علو ولا فسـاد في الأرض لأن حـال الصـحابة رضي الله عنهم تـأبى ذلك فـإنهم أوفر النـاس عقـولاً وأقـواهم إيمانـاً وأشـدهم طلبـاً للحق كما قـال النبي صلى الله عليه وسلم: " خير الناس قرني " وعلى هذا فطريق السـلامة أن نسـكت عن الخـوض فيما جـرى بينهم ونـرد أمـرهم إلى الله لأن ذلك أسـلم من وقـوع عداوة أو حقد على أحدهم.

موقف أهل السنة من الآثار الواردة في الصحابة:

موقفهم من الآثار الواردة في مساوىء بعضـهم على قسمين:

الأول صـحيح: لكنهم معـذورون فيه لأنه واقع عن اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ له أجر وإن أصاب فله أجران.

الثاني غير صحيح: إما لكونه كذباً من أصله وإما لكونه زيد فيه أو نقص أو غير عن وجهه وهـذا القسم لا يقـدح فيهم لأنه مردود.

عصمة الصحابة رضي الله عنهم:

الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب فـإنهم يمكن أن تقع منهم المعصـــية كما تقع من غـــيرهم لكنهم أقـــرب الناس إلى المغفرة للأسباب الآتية:

1. **تحقيق الإيمان والعمل الصالح.**
2. **السبق إلى الإسلام والفضيلة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون.**
3. **الأعمال الجليلة الـتي لم تحصل لغـيرهم كغـزوة بدر وبيعة الرضوان.**
4. **التوبة من الذنب فإن التوبة تجب ما قبلها.**
5. **الحسنات التي تمحو السيئات.**
6. **البلاء وهو المكاره التي تصيب الإنسان فإن البلاء يكفر الذنوب.**
7. **دعاء المؤمنين لهم.**
8. **شـفاعة النـبي صـلى الله عليه وسـلم الـتي هم أحق الناس بها.**

وعلي هـذا فالـذي ينكَر من فعل بعضـهم قليل منغمر في محاسنهم لأنهم خير الخلق بعد الأنبياء وصفوة هــذه الأمة التي هي خير الأمم ما كان ولا يكون مثلهم.

الشهادة بالجنة أو النار:

الشهادة بالجنة على نوعين: عامة وخاصة.

فالعامة: أن نشهد لعموم المؤمنين بالجنة دون شخص بعينه ودليلها قوله تعــالى:) إن الــذين آمنــوا وعملــوا الصالحات كانت لهم جانت الفردوس نزلاً ([1].

والخاصة أن نشهد لشـخص معين بالجنة وهـذا يتوقف على دليل من الكتـــاب والســـنة فمن شـــهد له النـــبي صلىالله عليه وسلم شـهدنا له مثل: العشـرة وثـابت بن قيس بن شــــماس وعكاشة بن محصن وغــــيرهم من الصحابة.

وكذلك الشهادة بالنار على نوعين: عامة وخاصة.

([1] سورة الكهف، الآية:107.

فالعامة أن نشهد على عموم الكفار بأنهم في النار ودليلها قوله تعالى:) إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً ([2].

والخاصة أن نشهد لشخص معين بالنار وهذا يتوقف على دليل من الكتاب والسنة مثل أبي لهب وامرأته ومثل أبي طالب وعمرو بن لحي الخزاعي.

قول أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء:

قول أهل السنة في كرامات الأولياء أنها ثابتة واقعة ودليلهم في ذلك ما ذكره الله في القرآن عن أصحاب الكهف وغيرهم وما يشاهده الناس في كل زمان ومكان.

وخالف فيها المعتزلة محتجين بأن إثباتها يوجب اشتباه الولي بالنبي والساحر بالولي والرد عليهم بأمرين:

1. 1. أن الكرامة ثابتة بالشرع والمشاهدة فإنكارها مكابرة.

2. 2. أن ما ادعوه من اشتباه الولي بالنبي غير صحيح لأنه لا نبي بعد محمد صلىالله عليه وسلم ولأن النبي يقول إنه نبي فيؤيده الله بالمعجزة والولي لا يقول: إنه نبي.

وكذلك ما ادعوه من اشتباه الساحر بالولي غير صحيح لأن الولي مؤمن تقي تأتيه الكرامة من الله بدون عمل لها ولا يمكن معارضتها وأما الساحر فكافر منحرف يحصل له أثر سحره بما يتعاطاه من أسبابه ويمكن أن يعارض بسحر آخر.

الولي ومعنى الكرامة:

الولي: كل مؤمن تقي أي قائم بطاعة الله على الوجه المطلوب شرعاً.

والكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى: على يد ولي من أوليائه تكريماً له أو نصرة لدين الله.

---

[2] سورة النساء، الآية: 56.

وفوائدها:

1. **بيان قدرة الله.**
2. **نصرة الدين أو تكريم الولي.**
3. **زيادة الإيمان والتثبيت للولي الذي ظهـرت على يده وغيره.**
4. **أنها من البشرى لذلك الولي.**
5. **أنها معجـزة للرسـول الـذي تمسك الـولي بدينه لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق.**

والفـــرق بينها وبين المعجـــزة أنها تحصل للـــولي والمعجزة للنبي والكرامة نوعان:

1. **في العلوم والمكاشفات: بـأن يحصل للـولي من العلم ما لا يحصل لغـــيره أو يكشف له من الأمـــور الغائبة عنه ما لا يكشف لغـــــــــيره كما حصل لعمر بن الخطـــاب رضي الله عنه حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا المحصـورة في العـراق فقـال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا سارية فسـمعه القائد فاعتصم بالجبل.**
2. **في القدرة والتأثيرات: بأن يحصل للولي من القدرة والتـأثيرات ما لا يحصل لغـيره كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء.**

طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم:

طريقتهم في ذلك:

أولاً: اتبـاع آثـار النـبي صـلىالله عليه وسـلم ظـاهراً وباطناً وآثار السابقين الأولين من المهـاجرين والأنصـار امتثـالاً لقوله صـلىالله عليه وسـلم : " عليكم بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.. " الحـديث. والخلفاء الراشدون هم الـذين خلفـوا النـبي صـلى الله عليه وسـلم في أمته في العلم والإيمـان والـدعوة إلى الحق وأولى الناس بهـذا الوصف الخلفـاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

ثانيـــاً: الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة والمعروف ما عرف حسنه شرعاً والمنكر ما عـرف قبحه شـرعاً فما به أمَر الشـارع فهو معـروف وما نهى عنه فهو منكر.

وللأمر بالمعروف شروط:

i. i. أن يكـون المتـولي لـذلك عالمـاً بـالمعروف وبالمنكر.

ii. ii. أن لا يخاف ضرراً على نفسه.

iii. iii. أن لا يترتب على ذلك مفسدة أكبر.

ثالثاً: النصح لولاة الأمور وإقامة الحج والجهاد والجمع والأعيـاد معهم أبـراراً كـانوا أو فجـاراً والـتزام السـمع والطاعة لهم ما لم يأمروا بمعصية الله.

رابعـــــــــاً: النصح لجميع الأمة وبث المحبة والألفة والتعـاون بين المسـلمين مطبقين في ذلك قـول النـبي صلىالله عليه وسـلم: " المـؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـدُّ بعضه بعضـــاً ". وقوله: " مثل المؤمـــنين في تـــوادهم وتـــراحمهم وتعــاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشــتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

خامساً: الدعوة إلى مكـارم الأخلاق ومحاسن الأعمـال كالصدق والـبر والإحسـان إلى الخلق والشـكر عند النعم والصبر على البلاء وحسن الجوار والصحبة وغير ذلك من الأخلاق المحمودة شرعاً وعرفاً.

سادساً: النهي عن مساوئ الأخلاق: كالكذب والعقـوق والإســاءة إلى الخلق والتســخط من القضـــاء والكفر بالنعمة والإساءة إلى الجيران والأصـحاب وغـير ذلك من الأخلاق المذمومة شرعاً أو عرفاً.

الأمور الـتي يزنـون بها أهل السـنة والجماعة ما كـان عليه الناس من العقائد والأعمال والأخلاق:

الأمـــور الـــتي يـــزن بها ذلك هي الكتـــاب والســـنة والإجماع.

فالكتـاب هو القـرآن ،والسـنة قـول النـبي صـلى الله عليه وسلم وفعله وإقراره، والإجماع هو اتفاق العلمـاء المجتهـدين من هـذه الأمة بعد النـبي صـلى الله عليه وسلم على حكم شرعي.

والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السـلف الصـالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

ولم يذكر المؤلف القياس لأن مرده إلى هذه الأصـول الثلاثة.

الصديقون والشهداء والصالحون والأبدال:

الصديقون هم الصادقون باعتقادهم وقولهم وعملهم والمصدقون بالحق.

والشـهداء هم الـذين قتلـوا في سـبيل الله وقيـل: العلماء.

والصالحون هم الذين صلحت قلـوبهم وجـوارحهم بما قاموا به من الأعمال الصالحة.

والأبدال هم الذين يخلف بعضهم بعضاً في نصر الدين والدفاع عنه كلما ذهب منهم واحد خلفه آخر بدله.

وكل هؤلاء الأصناف الأربعة موجودون في أهل السنة والجماعة.

الطائفة المنصـورة إلى قيـام السـاعة وما المـراد بقيامها؟:

الطائفة المنصـورة هم أهل السـنة والجماعة الـذين قـال فيهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم : " لا تـزال طائفة من أمـتي على الحق منصـورة لا يضـرهم من خذلهم ولا من خالفهم حـتى يـأتي أمر اللـه" وفي رواية "حتى تقوم الساعة".

والمـراد بقيـام السـاعة قـرب قيامها بالفعل وإنما أولنـاه بـذلك لأجل أن يصح الجمع بينه وبين حـديث " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ".

وأهل السنة والجماعة هم خيار الخلق بعد الأنبيـاء فلا يمكن أن تدركهم الساعة.

فنســأل الله أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله - تعالى - المجلد الرابع

ويليه بمشيئة الله - عز وجل - المجلد الخامس